Tel: 372336-323864 MAJALLAH Regd. No. LW/NP 59

AL - BAAS - EL- ISLAMI

JULY - 1999 (MONTHLY)

صدرت طبعة حديثة لكتاب :

الإمام مالك (رضي الله عنه)
و
مكانة كتابه " المؤطأ "

تأليف :

أ - د/ تقي الدين الندوي

أستاذ الحديث الشريف وعلومه

قامت بطبعه وإخراجه :

وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

دائرة القضاء الشرعي - (أبوظبي)

يطلب الكتاب من المؤلف الكريم

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

علي الطنطاوي ، نقير القلم المؤمن !
أربعة شروط للدين العالمي الخالد
حركة العلمنة في العالم الإسلامي
تطور المساجد في التاريخ الإسلامي
زوبعة الصراعات والأزمات تحرق باحة الإسلام !
الاستيعاب الإبداعي لرسالة الإسلام
تعليم المرأة في الإسلام
المصلحة بين الإفراط والتفريط
حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته
الروح والروح في القرآن الكريم
علوم القرآن الكريم
وبكى العلماء أمام تواضعه
ورحل المجاهد بغير طبول
إلى رحمة الله تعالى
إصدارات حديثة

جمادى الأولى ١٤٢٠هـ
أغسطس ١٩٩٩م

العدد الثمن
المجلد الواحد والأربعون

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - طريق ٢٣ لكناؤ (الهند)

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد الرابع
والأربعون

العدد الثامن
جمادى الأولى ١٤٢٠هـ
أغسطس ١٩٩٩م

"ندوة العلماء"

قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد في فجر هذا القرن الهجري ، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق ، وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو ، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم ، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسي رسالته ، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه ، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه ، وهو الإنذار ،

﴿ ليتفقهوا في الدين * و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)

المراسلات

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

المراسلات

البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧(الهند)

☆☆☆

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة و الفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" التي تجتاز الآن عامها *الرابع والأربعين* ، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، و يسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا .

والله من وراء القصد و هو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند : مائة وخمسون ١٥٠/روبية هندية
ثمن النسخة : ١٥/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٠/دولاراً بالبريد السطحي
و
٣٦/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ، ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

☆ أخي القارئ :
☆ علي الطنطاوي ، فقيد القلم المؤمن ! (س. أ.) ٣

الافتتاحية :

☆ زوبعة الصراعات والأزمات تحدق بأمة الإسلام ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

☆ أربعة شروط للدين العالمي الخالد سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ٩
☆ حركة العلمنة في العالم الإسلامي للأستاذ أسرار عالم ترجمة : الأستاذ غطريف شهباز الندوي ١٦

الدعوة الإسلامية :

☆ تطور المساجد في التاريخ الإسلامي الدكتور شوكت محمد عليان ٢٤
☆ الاستيعاب الإبداعي لرسالة الإسلام الدكتور أحمد عطية السعودي ٣٣
☆ تعليم المرأة في الإسلام الأستاذ صادق حسين ٤٣

الفقه الإسلامي :

☆ المصلحة بين الافراط والتفريط الأستاذ عتيق أحمد القاسمي ٥٤
☆ حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته الأستاذ محمد زاهد ٦٢

دراسات لغوية:

☆ الرُّوح والرُّوح في القرآن الكريم الدكتور محمد السيد علي بلاسي ٧٣
☆ علوم القرآن الكريم فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني ٧٦

على وفاة العلامة بن باز :

☆ وبكى العلماء أمام تواضعه الدكتور محمد بن سعد الشويعر ٨٣

من أعلام الدعاة والمفكرين :

☆ ورحل المجاهد بغير طبول الدكتور غريب جمعة ٨٧

إلى رحمة الله تعالى :

☆ فضيلة الدكتور السيد عبد الحفيظ سلفي في ذمة الله تعالى قلم التحرير ٩٥
☆ فضيلة الشيخ أختر علي الندوي في ذمة الله تعالى " " ٩٦
☆ العلامة الأديب ، والكاتب الإسلامي الكبير الشهير الشيخ علي الطنطاوي في ذمة الله تعالى قلم التحرير (س.أ) ٩٦

إصدارات جديدة :

☆ يا ساري الجبل قلم التحرير ٩٩
☆ عمدة البصر شرح نخبة الفكر " " ٩٩
☆ الإذاعة ، لما كان وما يكون بين يدي الساعة قلم التحرير (س.أ) ١٠٠

❁❁❁

بسم الله الرحمن الرحيم

علي الطنطاوي
فقيد القلم المؤمن !

أخي القارئ !

جاءنا النعي عشية يوم السبت ١٩/من شهر يونيو ١٩٩٩م (٥/من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ) من رحاب بيت الله الحرام في مكة المكرمة حيث صُلي على الأديب الإسلامي الكبير ، والكاتب الموهوب الشهير ، الشيخ علي الطنطاوي ، الذي خدم الدين بقلمه البليغ ، ولسانه الفصيح ، وعلمه العميق ، وفقهه الواسع للإسلام ولحضارته الإيمانية .

إنه وقف جميع مواهبه الأدبية ، وركز طاقاته العلمية كلها على إبراز مكانة الإنسان المسلم ، وتحقيق دوره في بناء الحضارة الإسلامية ، وتمثيل الخلافة في أرض الله تعالى ، وقد ظل متمسكاً بهذا المبدء العظيم في كل حال ، يخاطب الضمير المؤمن الحي ، وينادي أهل العلم والأدب والمعرفة بكلامه البليغ ، لكي يتولوا وظيفتهم التي خلقوا من أجلها ، ويؤدوا مسئوليتهم التي نيطت بهم .

رحم الله فقيد القلم المؤمن ، وأجزل مثوبته على ما قام به من خدمة عظيمة في سبيل العلم والأدب ، وما خلفه من زاد وتراث يكوّنان مكتبة مستقلة قيمة ، وجعله خير سلف لخير خلف ، بمشيئته .

﴿ كل نفس ذائقة الموت * وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾

١٤٢٠/٣/٦هـ
١٩٩٩/٦/٢١م

[سعيد الأعظمي]

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

زوبعة الصراعات والأزمات
تحدق بأمة الإسلام !

كل من يتابع الأحداث العالمية ، ويتتبع مسلسلات الجرائم والانتهاكات التي يتولاها قادة النظام العالمي الجديد ضد الشعوب الإسلامية دون أن يراعوا في ذلك إلا ولا ذمّة ، يُدرك أبعاد المؤامرات التي دُبرت ، واستبيحت بها دماء المسلمين وأعراضهم ، واستُهدف بها مستقبلهم بوجه عام ، إنه يلمس ذلك الحصار الذي أقيم حولهم ، لسدّ جميع الطرائق عليهم للخروج إلى أجواء من الحرية ، والعيش في ظل الشرعية القانونية كأمة وسط ذات اتزان وقصد ومبدء وتاريخ مشرق عظيم ، وما ذلك إلا نتيجة لهاجس الخوف الذي يساور أولئك القادة "الكبار" الذين يخشون أن ينتقل منصب القيادة العالمية إلى هذه الأمة التي أخرجت لها ، وجعلت أمة الهداية والوصاية على العالم ، بحكم الطبيعة التي جُبلت عليها ، فهم يرتعدون خوفاً مما إذا عادت هذه الأمة بعد الانتفاضة التي هي نتيجة حتمية للصحوة التي تعيشها ، إلى منصة القيادة العالمية .

ذلك هو الخوف الذي يستولي عليهم ويقض مضاجعهم ، ويبعثهم على أخذ كل حيلة وتدبير لاستبدال هذا الخوف بالاستقرار النفسي ، ولم يكن مصطلح النظام العالمي الجديد ، أو ما يدانيه من المصطلحات المغرية ، إلا خطوة نحو سد جميع المنافذ لأي نفوذ إسلامي في أي جزء من الأرض ،

حتى في العالم الإسلامي الذي يعيش فيه الإسلام بعيداً عن جميع الضغوط السياسية والاجتماعية والمادية ، فقد تسربت إليه الوثنيات من كل نوع ، وهي تستهوي قلوب الناس تحت ستار من الإغراءات الاقتصادية ولافتات من الفلسفات العلمية والحضارية ، والتقنيات الحديثة التي أصبحت رمزاً كبيراً للتطورات الإنسانية ، ومفخرة للتاريخ الحديث .

إننا إذا فتشنا عن مدى تأثير هذا النظام العالمي الجديد وفاعلية مؤسساته التي تعمل ليل نهار في سبيل تركيز القوي والطاقات الإنسانية على نقطة ارتكازية واحدة تتمثل في أقوى معسكر عالمي ، وهو المعسكر الغربي الذي تقوده "أمريكا" عن طريقه وكالاتها وأسواقها المنتشرة في الشرق والغرب ، ويجدر بالذكر منها "إسرائيل" في الشرق الأوسط ، والسوق الأوربية المشتركة لدول "أوربا" ، وحبسنا أن تكون لدينا معلومات عن الأنشطة الإسرائيلية في تغيير المعالم الإسلامية وسياستها، وهدم المقدسات في العالم الإسلامي وخارجه ، ولا سيما ما يتعلق بتهويد القدس ، ومشروع إقامة المستوطنات اليهودية فيها توخياً منها فصل القدس المحتلة عن الضفة الغربية وعزلها عن البقية الباقية منها ، بفرض سياستها الخبيثة للسيطرة على جميع الأراضي الفلسطينية .

وما جرى ويجري في "كوسوفا" ضد المسلمين الساكنين فيها بدافع من التطهير العرقي ، من المجازر الرهيبة الوحشية التي هي وصمة عار وشنارعلى جبين التاريخ ، ويخجل أمامها أكابر المجرمين من الجزارين المعروفين في العالم ، ليس كل ذلك إلا من وحي اليهودية العالمية ومن مخططاتها المدبرة ضد الإسلام والمسلمين في العالم كله ، وما يعاني أهل "إندونيشيا" ومعظمهم مسلمون من التفرقة العنصرية والعرقية وانهيار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، والأخلاقية ، وما يعيشه الشعب

الإندونيشي من تفكك النظام ، و الحالة المأساوية في جميع المجالات الحيوية ، إنما يأتي في إطار المخططات اليهودية ضد المسلمين ، وكذلك نظرة فاحصة على الأحداث العالمية ، وما يتمخض منها من الصراعات والصدامات المسلحة ، وتوتر العلاقات بين أطراف العالم الإسلامي ، وبلدان الأقليات الإسلامية ، تؤكد أن الجهود المعادية التي تبذلها "السياسة العالمية" (International Policy) التي يتولاها زعماء اليهود تنجح نجاحاً باهراً في تمزيق الصف الإسلامي ، وتفريق الكلمة ، وتشتيت شمل الأمة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، ولم يعد هناك شك فيما تمارسه هذه السياسة من ترسيخ دعائم الحصار حول العالم الإسلامي ، والأقليات الإسلامية في جميع أجزاء العالم ، وذلك باحتكار جميع وسائل العيش والسيطرة على المرافق الحضارية التي لا غنى عنها للإنسان المعاصر .

هذا الوضع الذي تعيشه الأمة اليوم ، ليس من الأوضاع العادية التي شهدتها بالأمس ، إنما هو حلقة مفرغة من سلسلة المؤامرات التي دُبرت ضدها منذ فجر التاريخ الإسلامي على الأيدي اليهودية ، وما يعيشه المسلمون اليوم من خلال هذه المخططات المحبوكة والدسائس الخبيثة أشد خطراً من كل ما مضى في التاريخ ، إلا أننا بوجه عام لا نكاد نشعر هذا الخطر ، وقلما يدرك الخاصة من طبقات الأمة الإسلامية أن هناك فوجاً من الأعداء الذين هم منهمكون في تقويض أركان الشريعة الإسلامية ، وحلّ قبضتها على الحياة بجميع مجالاتها ، بل إن تعمقاً قليلاً في هذه القضية ذات الخطورة ، والأهمية العظيمة ، يُحقق أن عدداً وجيهاً من المثقفين المسلمين الماجورين يعملون مع هؤلآء الأعداء ، ويساندونهم في قلب الماهية للمجتمع الإسلامي ، وتجريد أعضائه عن الوعي الديني ، والشعور بالمسئولية القيادية والحضارية ، أما الطبقة الخاصة منا فهي

كذلك تساعد أعداءها من غير شعور بذلك ، ومن ثم يتوضح السبب الرئيسي لما يجتازه المسلمون من المحن و الأزمات من كل نوع ، و من المعاناة التي لا تفارقهم في أي لحظة ولا مناسبة .

ويعجبني في موضع البحث عن خلفية هذا الوضع الشاذ والمحن التي تعاني منها الأمة الإسلامية ، ما قد أشار إليه الكاتب الإسلامي ، والباحث المعروف في قضايا الأمة وأوضاعها ، الأستاذ أسرار عالم في كتابه : "الوضع الديني للعالم الإسلامي" ، إنه يقول :

"إن ما يحدث اليوم في واقع الأمة الإسلامية من أحداث فاجعة ، ليس نتيجة انقراض الخلافة الإسلامية ، وانحطاط الأمة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً فحسبُ ، بل السبب الأصيل لذلك هو اضطراب حبل نظامها الديني ، وانهيار العلاقات الروحانية التي تربطها مع اللّه سبحانه وتعالى، والملائكة والسماء والملأ ، والحافين حول العرش ، والعرش نفسه ، الأمر الذي أنتج أن دعاءها لم يعد مستجاباً ، وأن الكون لم يكن مسخراً لها ، وأن الكائنات الأخرى لم تعد تتمنى لها خيراً ، الواقع أن قلوبنا وأجسادنا وبيوتنا ، ومجتمعاتنا وبلداننا كلها أصبحت ملجأ للشيطان ، وانقطعت صلتنا عن المنهج الرباني الذي يحظى بالأمن والسلام من يعيش فيه ، وتتنزل عليه الرحمة والسكينة .

إن حقيقة المعركة التي خاضتها الأمة المحمدية ضد اليهود تتلخص في نظامين متصادمين وهدفين متنافسين ، ولكل منهما غاية وجودهما ، فإن الأمة المحمدية ، إنما هي حزب اللّه ، وهي مسئولة عن العمل لتعزيز مهمة الدين وإعلاء كلمة اللّه تعالى ، وإسعاد الإنسان وتجيبه إلى اللّه ، وتوجيه التاريخ البشري نحو العاقبة الحميدة ، بينما اليهود ليست إلا حزب الشيطان ، إنها تبذل جميع طاقاتها في إنجاح مهمة الشيطان ، وإسقاط

مكانة الإنسان في عين اللّه تعالى ، و إزجاء التاريخ البشري إلى أسوأ مصير ، إنه سباق بين حزب اللّه وحزب الشيطان ، وبين رضا اللّه تعالى وأهواء الشيطان ، ومسابقة بين المنهج الرباني ، ومهمة إبليس ، ولذلك فإن المعركة بين اليهود والمسلمين ، ولا سيما بعد وجود "إسرائيل" في العالم الحديث ليست معركة الأرض والتراب والوطن ، إنما هي معركة بين الحق والباطل ، وكل ما نراه اليوم ، إنما هو امتداد لهذه المعركة الحاسمة" .

وهل فكرنا فيما أُلهيَ به شبابُنا من الملاهي والأهواء والمغريات باسم الألعاب الرياضية ، وما مُني به من المخدرات والمسكرات باسم المنعشات الروحية ، إنه يتهافت اليوم على رؤية مباريات كأس العالم ، ويتفاني فيها متناسياً كل شئ مما يجب عليه من وظائف الحياة ، وساهياً عن الواجبات الخلقية والدينية ، وطالما تقام هذه المباريات في أوقات الصلوات ، وسيما صلاة الجمعة ، لكي يتشاغل المشاهدون عن أداء الواجب الديني ، ويتركوا فرض عين يترتب على تاركه المتعمد معصية تؤدي إلى الخروج عن الدين .

وهناك كثير ، وكثير من الشئون التي نساعد بها أعداءنا في كسب المعركة ضدنا ، فمَنِ المتهم بإحداث هذه الأوضاع والمحن ؟ ومن هو المسئول عن هذه الصراعات والأزمات التي تحيط بنا من كل جانب ، وتضيق علينا الخناق في كل مكان ؟ هل لا نزال ننصر اللّه حتى ينصرنا ، أم أننا تناسينا هذا المبدء القطعي الذي يتوقف عليه النصر ؟!

يقول اللّه تبارك وتعالى :﴿ إن تنصروا اللّه ينصركم * ويثبت أقدامكم ﴾ .

ويقول : ﴿ وما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم ﴾

﴿ ولينصرن اللّه من ينصره * إن اللّه لقوي عزيز ﴾

﴿ واللّه يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

أربعة شروط للدين العالمي الخالد

الذي يحمل لواء الإصلاح البشري

(٢)

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء العام

والآن نتناول هذه الشروط الأربعة شرطاً شرطاً ، باستعراض موضوعي في ضوء التاريخ الموثوق به ، وشهادات المثقفين الأفاضل من المسلمين وغيرهم ، واعتماداً على الوقائع والأحداث التي رواها المؤرخون الثقات الأثبات .

☆ أعظم مأثرة نبوية للإصلاح والتربية وقلب الماهية :

بالنسبة إلى الشرط الأول فإن من الواقع المحقق أن كل نبوة قامت في عهدها بصياغة الإنسان صياغة جديدة ، وتربيته تربية فاضلة ، وأعدت أفراداً منحوا هذا العالم حياة من جديد ، وألبسوا الحياة لباس الهدف والمعنى : "الحياة التي كانت قد تجردت عن الهدف لقصر نظر الإنسان وفكره الزائغ وجهله بحقيقة الحياة" .

ولكن أعز مأثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية من بين مآثر النبوة ، هي المأثرة الكبرى التي قام بها محمد رسول اللّه ﷺ ، وقد سجل التاريخ مآثره النبوية في تفصيل لا يوجد له نظير في غيره من الأنبياء ، فإن التوفيق الذي أكرمه اللّه به في مجال تربية الإنسان وصياغته ، إنما تفرد به من بين الأنبياء والمرسلين فضلاً عن المعلمين والمربين ، إن المستوى الذي بدأ منه النبي الكريم ﷺ عمله في بناء الإنسانية لم يحتج إلى ذلك المستوى أي نبي أو مصلح أو مرب ، فقد كان ذلك آخر مستوى التدلى والاسفاف في المعاني الإنسانية الكريمة تنتهي فيه حدود الحيوانية ، وتبدأ منه حدود الإنسانية ، وكذلك فإن

المستوى الأعلى الذي بلغ إليه النبي الكريم ﷺ في عمل البناء للإنسانية لم يكن للإنسان عهد به في أي عصر ولا جيل ، فإذا كان النبي الكريم ﷺ قد بدأ عمله من المستوى الأخير السافل للإنسانية ، فإنه قد بلغ به إلى أرفع قمة للإنسانية وأعلاها .

☆ أجمل صورة في مجموع الصور الإنسانية العالمي :

وكل فرد من أفراد الجيل الذي أعده الرسول الكريم كان نموذجاً رائعاً للتربية النبوية ، ومفخرة وشرفاً للنوع الإنساني ، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي الواسع ، بل في الكون كله ، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية ، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات اللّه عليهم أجمعين .

إن إيمانهم الراسخ ، وعلمهم العميق ، وقلبهم الصادق ، وحياتهم الساذجة ، وتواضعهم وخشيتهم لله ، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم ، وشجاعتهم وجلادتهم ، وتذوقهم للعبادة ، وحنينهم إلى الشهادة ، وفروسيتهم بالنهار ، وقيامهم بالليل ، وتحررهم من سلطان الثروات ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها ، وزهدهم في زخارف الدنيا ، وعدلهم وحسن تدبيرهم ، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا ، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ ، ولو لا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلآء الرجال ، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً ، وقصة اسطورية ، ولكنها الآن حقيقة تاريخية ، و واقع معلوم لا مجال فيه للشك .

☆ خلق يجمع بين صفات الطين والنور :

إن جماعة الصحابة الكرام رضي اللّه عنهم كانت مجموعة إنسانية تتميز بصفات إنسانية متناقضة ، بفضل إعجاز النبوة ، وقد عبر عن ذلك شاعر الإسلام محمد إقبال بما معناه :

"إن المؤمن عبد لله ، أصله من تراب ، وفطرته من نور ، تخلق بأخلاق اللّه ، واستغنى عن العالمين ، آماله ومطامعه قليلة ، وأهدافه ومطامحه رفيعة

جليلة ، ألقي عليه الحب وكسي المهابة والجمال ، رقيق رفيق في الحديث ، قوي نشيط في الكفاح ، نزيه بريئ في السلم والحرب ، إن إيمانه هو نقطة الدائرة التي يدور حولها العالم ، وكل ما عداه ، وهم وطلسم ومجاز ، إنه الغاية التي يصل إليها العقل ، ولب لباب الإيمان والحب ، وبه نالت هذه الحياة بهجتها وقوتها (١) .

ونحن ننقل الآن إلى القارئ الكريم شهادات من التاريخ لكي يتحقق أن ما ذكرناه لا يتوقف على مجرد الإعجاب بهذه الشخصيات .

☆ سيدنا علي المرتضى رضي اللّه عنه ينعت الصحابة الكرام رضي اللّه عنهم ويصفهم :

يسعدنا أن نبدأ هذا الموضوع بمقتطفين من خطب علي كرم اللّه وجهه يحملان شهادته عن الصحابة الكرام (الذين أصبحت شخصيتهم موضع بحث لدى بعض الفرق ومدارس الفكر) فإن شهادة علي ﷺ بمثابة شهادة عينية ، إن بيانه نموذج رائع لما عرف به أهل البيت النبوي من الصدق والأمانة ، ومثال ناطق للبلاغة التي اشتهر بها سيدنا علي ﷺ وسلمت له ، وينبغي أن لا يفوتنا أنّ وصفه هذا إنما يدور حول رفاقه وزملائه الذين كانوا قد فارقوا الحياة ، وانتقلوا إلى الدار الآخرة ، ولا يجوز أن يختص هذا البيان بالصحابة الأربعة ورفقته الأجلة فحسب (الذين يعتقد الإمامية أنهم هم وحدهم الذين ظلوا أوفياء للإسلام متمسكين بما تركهم عليه الرسول الكريم ﷺ ، وهم سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، ومقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر) فإن غير واحد منهم كان موجوداً في حياته مساندين له في شئونه وأعماله (٢) .

---

(١) "روائع إقبال" للمؤلف : ص/١٤٧-١٤٨ ، الطبعة الرابعة طبع المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ (الهند) .

(٢) توفي عمار بن ياسر أيام خلافته في عام ٣٧هـ ، وسلمان الفارسي قبله بعام في عام ٣٦هـ ، وأما شهادة علي كرم اللّه وجهه ، فقد كانت في عام ٤٠هـ .

هذان المقتطفان مأخوذان من كتابه الموثوق به والمتفق عليه بين الشيعة الإمامية الذي يجمع بين خطبه ورسائله وأقواله وهو مجموع "نهج البلاغة" ، وقد ألفه الأديب الكبير والشاعر الهاشمي الشيعي المعروف بـ الشريف الرضي [٣٥٩-٤٠٤هـ] ولا يزال هذا الكتاب متداولاً يتمتع بإجلال و حترام عند الشيعة ، ذا قيمة أدبية كبيرة عند علماء الأدب منذ ذلك العهد إلى العصر الحاضر ، وقد شرحه العالم الشيعي الشهير والمتكلم ابن أبي الحديد [٥٨٦-٦٥٥هـ] بشئ كثير من الاهتمام والعناية ، وليقرأ القارئ الكريم النصين التاليين ، وليتذوق ما فيهما من بلاغة أدبية وروعة فنية ، يقول أمير المؤمنين علي ﷺ وهو يتحدث عن أصحاب محمد ﷺ :

"لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ، فما أرى أحداً يشبههم منكم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ، ورجاءاً للثواب" (١) .

ويقول في خطبة ثانية : "أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن الكريم فأحكموه ، وهيجوا إلى القتال ، فولهوا وله اللقاح إلى أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً ، بعض هلك وبعض نجا ، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون بالموتى ، مره العيون من البكاء ، خمص البطون من الصيام ، ذبل الشفاء من الدعاء ، صفر الألوان من السهر ، على وجوههم غبرة الخاشعين .

أولئك إخواني الذاهبون فحق لنا أن نظماً إليهم ونعض الأيدي على فراقهم" (٢) .

---

(١) نهج البلاغة - تحقيق الدكتور صبحي الصالح أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية ، طبع دار الكتاب اللبناني (بيروت) : ص/١٤٣ . (٢) المصدر السابق : ص/١٧٧-١٧٨ .

☆ الصحابة الكرام والشيخان رضي الله عنهم كما يراهم غير المسلمين والمؤرخون الغربيون :

يقول الفاضل الألماني كاتاني (Caetani) في كتابه : "سنين الإسلام" : "لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي ، ودعاة الإسلام في المستقبل ، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع ، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله وحبهم الخالص له ، إلى عالم من الفكر والعواطف لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً ، والواقع أن هؤلاء الصحابة كان قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية ، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً ، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً ، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها ، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله من كلام أو أمر ، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين" (١) .

ويقول المؤلف الفرنسي الشهير الدكتور غوستافيل ايبان (Gusavell eban) في كتابه حضارة العرب : "وبالجملة فإن هذا الدين الجديد كان يواجه مناسبات وفرصاً كثيرة ، وإن فراسة الصحابة وحسن تدبيرهم قد جعلهم ينجحون لدى كل فرصة ومناسبة ، لقد وقع الاختيار للخلافة في العهد الأول على أناس ، كان جل غرضهم نشر الدين المحمدي" (٢) .

ويقول المؤلف الإنجليزي الشهير أيدورد جبن (Edward Gibbon) عن الخلفاء الراشدين في كتابه انقراض وسقوط المملكة الرومية (Decline and Fall of the Roman Empire) : "لقد كانت أخلاق الخلفاء الأربعة الأولين وتصرفاتهم

---

(١) Caetani (Annali dell' Islam), T.W. Arnold, Preaching of Islam, Vol.11, P.429, London, 1935

(٢) "حضارة العرب" : ص/١٣٤ ، ترجمة شمس العلماء الدكتور السيد علي البلغرامي .

نزيهة مضرب المثل ، إن نشاطهم وتفانيهم إنما كان بإخلاص تام ، ورغم التمكن من الثراء والسلطة ، فقد أفنوا أعمارهم في أداء المسئوليات الخلقية والدينية" (١) .

ويقول الدكتور فلب حتي (Dr. Philp Hitti) في كتابه الشهير "محتصر تاريخ العرب" (A Short History of the Arabs) : "عاش أبو بكر ﷺ ، قاهر المرتدين وموحد الجزيرة تحت راية الإسلام حياة ساذجة بسيطة ملؤها الوقار ، وفي الستة الأشهر الأولى من خلافته القصيرة ، كان يغدو كل يوم من السنح حيث قطن و زوجه حبيبة في بيت وضيع ، إلى عاصمة المدينة ، و لم يكن يتقاضى راتباً ، لأنه لم يكن للدولة إذ ذاك دخل يستحق الذكر ، وكان يدبر جميع شئون الدولة في صحن المسجد النبوي .

أما عمر ﷺ ، الخليفة الثاني ، فكان رجلاً جلداً نشيطاً ، ومثالاً حياً للبساطة والاقتصاد ، ومن صفاته أنه كان طوالاً أصلع شديد الأدمة ، وقد أعال نفسه في إبان عهد خلافته بالمتاجرة ، وكانت حياته - شأن حياة أي شيخ بدوي - بعيدة عن الأبهة وحب التظاهر ، وتجعل الروايات الإسلامية اسمه أرفع اسم في أوائل الإسلام بعد النبي الكريم ﷺ ، وقد مجد عمر الكتاب المسلمون لتقواه وعدله وتواضعه و وقاره ، وحسبوا هذه المناقب التي يجدر لكل خليفة أن يتحلى بها ، مشخصة فيه ، وقالوا : لم يكن لعمر إلا قميص خلق وإزار قطري مرقوع برقعة من أدم ، وكان ينام على فراش من سعف النخل ، ولم يهمه من شئون هذه الحياة الدنيا سوى الدفاع عن شعائر الدين وإقامة العدل وإعلاء شأن الإسلام وتأمين مصالح العرب" (٢) .

---

(١) Edward Gibbon, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 1911, PP.384-385.

(٢) العرب تاريخ موجز ، للدكتور فلب حتي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٤٦م : ص/٧٢-٧٣ . History of Arabs, London, 1945, PP.175-176.

☆ مقتطفات الكاتب الإسلامي الكبير القاضي السيد أمير علي :

ونترك الآن علماء أهل السنة ومؤلفيهم ، لكي نقدم مقتطفات عديدة من كتاب : (A Short History of the Saracens) "مختصر تاريخ العرب" للكاتب الإسلامي الأكبر (في الإنجليزية) السيد أمير علي (١) إنه يقول : "إذا قمنا باستعراض الواقع السياسي الذي عاشه المسلمون في عهود الخلفاء الراشدين تمثل أمام الأعين مشهد مثير لحكومة الجماهير ، التي كان رئيسها خليفة انتخبه الناس ، لم يكن يتمتع إلا بسلطة محدودة ، فقد كانت سلطته الخاصة تدور حول نطاق الشئون الإدارية ، أما سيادة القانون فكانت تعم الجميع ، غنياً كان أو فقيراً ، رئيساً كان أو عاملاً في المزارع" (٢) .

☆ ويزيد فيقول :

"لقد كان الخلفاء الراشدون قد وهبوا حياتهم لصالح عامة المسلمين بشئ كثير من الشدة والحيطة ، وكانوا يعيشون في غاية من السذاجة بحيث إن ذلك كان تقليداً كاملاً للنموذج الذي ورثوه من النبي الكريم صلى الله عليه و آله وسلم ، إنهم حكموا قلوب الناس بحسن سلوكهم ومكارم سيرتهم ، مع الابتعاد التام عن الخدم والحشم ، والفخفخة الظاهرة" (٣) .

[للحديث صلة]

---

(١) السيد أمير علي [١٨٤٩-١٩٢٨م] كان سليل أسرة شيعية من السادة ، وردت إلى الهند مع الملك نادر شاه الخراساني ، تلقى دراسة اللغة الإنجليزية والعربية في الكلية المحسنية بكلكتا (الهند) ، وقام بدارسة القانون ، حتى حاز شهادة الحقوق في عام ١٨٧٣م ، وقد أحيل إلى المعاش عن محكمة بنغال العليا في عام ١٩٠٤م ، وهاجر إلى إنجلترا واستوطنها في عام ١٩٠٩م ، وتم اختياره كأول عضو هندي في اللجنة القانونية للمجلس الملكي البريطاني في لندن ، وتوفي في عام ١٩٢٨م ، قلما رزق كاتب هندي قلما سيالا للكتابات الإسلامية ، واقتداراً على اللغة الإنجليزية كأهلها ، مثل ما كان للسيد أمير علي ، يقول المستشرق أوسبورن (Osborn) (كتب السيد أمير علي بأسلوب يدل على ملك كاتبه لناصية اللغة الإنجليزية ، أسلوب قل من يستطيع أن يجاريه من الإنجليز المثقفين "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" -للدكتور أحمد أمين : ص/١٤٠) .

(٢) مقتطف من كتاب : The Spirit of Islam, London, 1922. P.278.

(٣) The Spirit of Islam, op. cit, P.280.

حركة العلمنة

في العالم الإسلامي : للأستاذ أسرار عالم

ترجمة : الأستاذ غطريف شهباز الندوي (*)

وهنا من المناسب قبل المضي قدماً في البحث إيضاح بعض الأمور الضرورية ، وأولها نوعية الفساد الذي تبع حركة العلمنة ، و وقع في المجتمعات المسلمة ، ومع تسليم تواجد بعض الأمراض والسيئات في المجتمع المسلم بصفة دائمة ، كما تتواجد في المجتمعات البشرية عموماً ، فإن المعاصي والمنكرات في مجتمع مسلم تتصل عموماً بفسق عملي ، فيمكن أن يصاب فرد أو أفراد كثيرون من مجتمع بفسق عملي ، وهذه الحالة ظلت متواجدة في المجتمعات المسلمة على مدى الدهر ، بنسبة مرتفعة مرة ومنخفضة أخرى ، وهناك نوع من الفساد يختلف تماماً عنه ، والذي يمثل في الحقيقة فسقاً عقيدياً ، ويطلق عليه في عامة الأحوال تعبير "ضلالة" ، ويبدو من خلال دراسة التاريخ الإسلامي أن الانحرافات الفردية والارتجاعية - وإن كان بنسبة أقل من صفر في المأة [٠،١٪] ما زالت تتواجد على مدى العصور ، إذا صرفنا النظر عن الانحرافات الاجتماعية ، إلا أن الفساد الذي تبع العلمنة في كلا دربيها ، الدرب التقليدي الشرقي ، والدرب الغربي الجديد ، فهو يختلف تماماً - نوعياً وكيفياً - عن المساوى العامة ، فهو ! وإن كان صغير الحجم أو كبيره ، وإن ظهر في شكل يمثل فسقاً عملياً ، يتصل في الواقع بفسق اعتقادي ، أو على أقل حد ، يؤدي بالضرورة إلى فسق عقيدي خفاءً ، والعلمنة ذريعة تحصيل العلمانية - وتتم عن طريق أعمال وتدابير - قد تبدو غير ضارة أو قليلة الضرر بظاهرها ، لكنها بصورة ترويجها وتعميم استخدامها ، تجعل هذا

الأمر يقينياً أن يصير الإنسان والمجتمع الإنساني متحرراً من تصورات التوحيد والرسالة والآخرة ، كنتيجة محتومة ، فهذه التدابير بهما تبدو طيبة ونافعة وغير ضارة ، تقف وراءها نوايا العلمنة ، ولذا فكما لا ينبغي انتساب جميع السيئات التي وُجدت تاريخياً ، إلى العلمانية والعلمنة ، كذلك لا يجوز غض النظر عن مروجات وجنايات وتداعيات العلمنة ، بوضعها في جدول المساوي البشرية العامة ، فإن الشر العام شئ ، وفتنة العلمانية شئ آخر ، ويوجد بُعد كبير بين عوامل كل منهما ، كما أن هناك فرقاً كبيراً بين مكاسب وعواقب كل منهما أيضاً .

والأمر الثاني يتعلق باستعراض التاريخ الإسلامي من منظور تطوره وانحطاطه ، لأنه تولدت هناك في القرنين الماضيين ، بعد مجيئ العالم الإسلامي تحت التغلب الغربي أمور متعددة ، وبعضها كانت سطحية وبعضها خطيرة جداً ، فمن الأمور الخطيرة سوء الفهم لتاريخ الإسلام وتحليله الخاطئ ، وقد صار اليوم متفاقماً للغاية ، والذي نبع من انهدام العالم الإسلامي على الصعيد النظامي ، مما أفضى به إلى المغلوبية العسكرية التي انتهت به أخيراً إلى المغلوبية السياسية والاقتصادية ، وتعاظمت خلالها الأفكار الغربية ، ونجحت في إخضاع العالم الإسلامي واستسلامه لغلبتها الفكرية ، وهنا ابتدأت تحليلات جديدة لتاريخ الإسلام ، تحت محور "عروج وانحطاط المسلمين" وكانت - ولا شك - بدايتها صحيحة وفي أوانها ، فإن مفكري الإسلام ومؤرخيه اضطروا إلى أن تتولد في أذهانهم تلك التحليلات حينما رأو المجتمع المسلم ينكسر وينهزم في عالم الواقع ، لكن من المؤسف جداً أن هذه الغريلة كانت في العالم الإسلامي بطريق خاطئ ، وذلك لأسباب عدة ، فهذه الغربلة تمت عموماً من قبل ثلاث طبقات :

١- مصنفو الغرب ومؤرخوه ، وهذه الطبقة على الرغم مما لها من تبحر علمي ومكانة مرموقة في عالم البحث والتحقيق ، قد قصرت في فهم الإسلام ، إما بسبب نياتها الفاسدة بالنسبة للإسلام والمسلمين ، وإما لأن الاستعراض

التاريخي للإسلام من المنظور الإسلامي الصحيح لا يأتي في دائرتها بطبيعة الحال .

٢- المؤرخون المسلمون الجدد : ونريد بهم أولئك العلماء المسلمون الذين كان لهم اطلاع واسع ومباشر على الغرب وعلومه ، وهذه الطبقة مع اطلاعه المباشر والموسع على الغرب عموماً ينقصها المعرفة الكافئة المباشرة لتاريخ الإسلام والمسلمين ، حتى إن أكثرهم كانت معرفتهم تقوم على المصادرَ الغربية بالكلية ، فلا تتمتع هذه الطبقة هي الأخرى بصلاحية كافية لتحليل واقعي صحيح لتاريخ الإسلام ، لأجل فقدان المعرفة الضرورية بتاريخ الإسلام ، وبسبب نظرهم إليه بنظرة الغرب .

٣- المؤرخون المسلمون القدماء : وهذه الطبقة هي التي تتمتع بدراسة عميقة واطلاع شامل على مصادر التاريخ الإسلامي ، لكن تعوزها المعلومات الكافية عن الغرب وتاريخ أفكاره ، فكان لديها معلومات سطحية جداً في مضمار ذلك ، الأمر الذي أداهم مع ما لهم من نظر عميق في التاريخ الإسلامي ، وبالتالي فقد تم انطباق تاريخ الإسلام على القواعد والموازين الغربية ، على أيدي هؤلآء بغير شعور منهم في أكثر الأحوال .

والطبقة الأولى خارجة عن بحثنا هذا ، والثانية كان من أكبر من يمثلها السيد أمير علي ، الذي كان يستحق - بجدارة - باعتبار مبلغ علمه وصلاحية المتفوقة ، أن يكون أكثر نفعاً للأمة ، غير أن أيِئسَ في باب يعد فيه أكبر محط آمل ومناط رجاء ، ولا شك أنه كان أهلاً للقيام بعملية استعراض واقعي لأوضاع العالم الإسلامي ، بإضاءة الوضع الأصيل للغرب ، وكشف القناع وإزالة ستار الدجل والمكر والخداع عن التاريخ الغربي ، وخاصة فيما بعد النهضة الغربية (The Rennaissance) والذي طوته اليهود الماكرون عن طريق الغزو الثقافي والفكري ، لكنه وبالأسف ، قد اعتمد علي براؤن (Brown) ، ولينورمانت (Lenormant) ، ودريبر (Draper) ، وكريمر (Van Kremer) ، ودزريلي (Disraeli) ، وجبّون (Gibbon) ، وموشيم (Mosheim) ، وملنر (Milner) ، وميت ليند

(Maitland)، وليكي (Leggi)، وسموئيل دل (Samuel dill)، و دي بونسى (De Bunsen) ، ودولنجر (Dollinger) فكانت النتيجة أن وقع في خطأ فاحش كما هو معلوم .

أما الطبقة الثالثة : فقد جنى خطؤها الساذج الصغير الحجم ، على الأمة المسلمة وتاريخها ما لم تجن الاعتداءات الكبيرة لمصنفي الغرب ، ذلك لأن الأمة عقدت بهم آمالاً جساماً واعتقدتهم كمتعمقين في تاريخها ، وذلك حقيقة ثابتة أيضاً ، وأكبر ممثل لهذه الطبقة هو الشيخ العلامة شبلي النعماني المؤرخ الإسلامي الكبير الذي يندر مثاله في القرن التاسع عشر ، في سعة اطلاعه وعمق نظره في التاريخ الإسلامي ، ورغم جلالة قدره فقد تنم عباراته التي حررها كتوطئة لكتابه "المأمون" عن منظوره الذي رأى من خلاله التاريخ الإسلامي ، والخطأ الذي وقع منه في فهمه لتاريخ الإسلام ، وقد كان يحق عليه من قِبل الأمة الإسلامية أن يستقيم مؤرخ جليل الشأن مثله ، على نصح إسلامي سليم للدراسة والتحليل جين يصاب معاصروه بدجل وتزوير غربي في هذا الصدد ، لكن وبالأسف لم يحصل ذلك في بعض الصور والجوانب الهامة ، فقد رأى مع تهوره العلمي الكبير التاريخ الإسلامي رؤية ، يراها الغرب ويدعو الآخرين للرؤية ذاتها منذ قرون ، ولذا فقد أخذ العلامة شبلي الفكرة من كارلايال (Thomas Carlyl) الذي كتب البطولة والأبطال (Heroes and Herowarship) وبدأ كتابة التاريخ الإسلامي بـ "المأمون" والذي تغنى بمجده دريبر (Draper) ، ودوغا (Gustave Dugat) ، وليبان (Gustave Labane) ، من ذي قبل ، وقد يكون ذلك تبعاً للمؤثرات والضغوط الخارجية (١) .

ثم إن أسلوب التحقيق من أساليب الغرب ، الذي أثر تأثيراً كبيراً على الطبقتين الثانية والثالثة ، هو الأسلوب والفكرة التي يتبناها أيدورد جيبون (Edward Gibbon) الذي كتب تاريخ انحطاط وانهدام الامبراطورية الرومية (Decline and Fall of Roman Empire) ، وكان ينتمي إلى دائزم (Deism) وهو فرع

---

(١) المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

سري شديد الخفاء للماسونية ، وكان من أعضائه وأركانه المشتهرين في ذلك الزمان "أليكزاندر البابا" ، و "هردار و جبّون" هذا ، وكذلك كان كارليل أديباً ومؤرخاً شهيراً منتمياً إلى الماسونية ، والذي استأصل المسيحية من أساسها ، وقد ترك في آخر أمره المسيحية الكالوينية التي ورثها ، أبا عن جد ، فأزال آثارها المتبقية فيه في عام ١٨١٦م ، ففي مثل هذه الحالة حين عمد الكاتبون كهؤلاء إلى تاريخنا ، و وجهوه في غير وجهه من الظاهر ماذا ستكون النتيجة المحتومة ، فقد أعاد كتابنا أيضاً قصة ازدهار وانحطاط الأمة ، تلك القصة ذاتها التي خلقها وزورها الغرب ، ويضاف إلى ذلك أنه أُخذت استنتاجات وتحليلات خلقها الغرب ، تُطبق تطبيقاً على الأمة المسلمة وتاريخها ، وانتهت هذه المحاولات بنتائج بعيدة المدى ، لا تقدر خطورتها اليوم ، حتى إنها أفضت بنا إلى تشوش الفكر من الداخل ، كما يرى ذلك في الكتابات التي جاءت فيما بعد ، وتناولت الموضوع نفسه ، ولا نزال نعيش اليوم تلك الحالة القاسية وقد عادت إلينا حواسنا -إلى حد - وبدأنا نفهم ذاتنا متحرراً من العبودية الفكرية للغرب ، وسرنا بعض الخطى إلى استقلال ذاتيتنا كأمة ذات مشروع بناء للبشرية جمعاء ، حتى إن الكتابات التي طبعت بطابع الحركية والعودة إلى الدين من جديد لم تبق مصونة من هذه التأثيرات الغربية .

وأساس جميع هذه الالتباسات ذاك المقياس النقدي الذي قاس به اليهود تاريخ المسيحية ، وتاريخ الغرب أولاً ، وثانياً حاولوا قياس التاريخ الإسلامي بالمقياس نفسه ، ومن سوء حظنا أننا لم نستورده فقط بل قبلناه أيضا بلا رويّة وتفكير وبغير ما تردد ولا اختلاف ، وقد أعطى هذا الميزان النقدي الغربي المستورد مقاييس مختلفة تماماً عن معيارات الإسلام بالطبع ، فأوجد لرقي المسلمين وانحطاطهم بواعث وعللاً جديدة ، وقدم له مظاهر وعلامات جديدة - تبعث - بدورها ، على التفاخر والانبساط فتهافتنا عليها في طرب واهتزاز ، على حين أن البيئة الحقيقية للتقدم والانحطاط بالنسبة للإسلام كانت مختلفة جداً عن كل ذلك ، فأدى ذلك بالتدريج إلى حدوث صدام بين الواقع والاعتبار

في كل مجالات وقطاعات الحياة ، وبالجملة فإن هذه التحليلات لا تمثل وجهتنا في قليل ولا كثير ، وإنما تمثل مباشرة أو غير مباشرة الفكر اليهودي الغربي ، ولنا أن نوضح ذلك بإيجاز على النحو التالي :

١- إن تعيين أدوار الرقي والانحطاط في تاريخ الإسلام على منوال التاريخ الغربي خطأ فادح .

٢- كذلك لا يصح أننا منينا بانحطاط علمي وفكري ، وبالتالي انهزمنا أمام الاستعمار الغربي (١) .

٣- ولا يصح كذلك أننا مصابون بشلل علمي وفكري ، فنحتاج إلى استئناف النظر في المنهج الإسلامي للتفكير (٢) ، ومن النتائج البعيدة المدى للاعتماد على التحليل الغربي هذا أننا نستوحش اليوم من تاريخنا نحن (٣) ، ونرى نجاح مستقبلنا القادم في ظل شجرة طالما وصفناها بشجرة شيطانية ، وهي الحضارة الغربية بعجرها وبُجرها (٤) .

٤- لا شك أننا مائلون إلى الانحطاط بعد العهد النبوي السعيد لكن شتان ما بين هذا الانحطاط، وبين الذي يعتبر في التحليل التاريخي اليوم ، فمن البديهي أننا مائلون إلى الانحطاط لكن مسيرتنا تجرى من الصعود إلى الصعود وتتخلله فترات الانهيار والانحطاط كما يدل عليه الحديث النبوي أيضاً .

ومن هذا المنطلق نصف مسيرتنا هذه بالسفر من النبوة والرحمة إلى النبوة والرحمة ، والذي يملؤه عصور الإصلاح والتجديد ، ولذا إن كان قد

---

(١) انظر ضياء الدين سردار في كتابه : (Islam and the Future) "الإسلام والمستقبل" ، المجلد/٢٣ ، رقم/٣ .

(٢) (Islamic Future) مستقبل الإسلام -لضياء الدين سردار ، باب : (The shape of ideal to Come) ، مطبعة فليندك .

(٣) نفس المصدر : باب : (Shaping a Synthesis) :ص/١ .

(٤) محمد فتحي عثمان : "إلى تفكير جديد ومنشور إسلامي متطور" ، و "رؤية معاصرة" لـ إيم. إى. صديقي ، ص/٢٢ ، مطبع نامبسي .

أصابنا فساد - في فهمنا نحن - فهو من المعتاد ، كذلك كان الإصلاح والتعمير أيضاً من حقائق حياتنا - في فهمنا نحن - .

٥- إنه لا يجوز تحليل تاريخ الإسلام والمسلمين إلا ما يتم برعاية مزاج الإسلام وتركيبته الحضارية رعاية كاملة .

٦- وعلى ذلك فلا يصح القول بأننا ملنا إلى الانحطاط والاندحار في العهود العباسية الأخيرة .

وخاصة بعد الخليفة واثق باللّه ، وليس في إجماله بل هو خطأ جملة وتفصيلاً ، وأي تحليل يكون أبعد من الصحة والثقة عما قد قدمه السيد أمير علي للتاريخ الإسلامي، تحت تأثير الدراسات والاستنباطات الغربية (١)..

٧- وكذلك لا يصح بالدرجة الأولى القول ببلوغ الحضارة الإسلامية إلى أرقى مدارجها في العهود العباسية وبخاصة في عهد "المأمون" فإن ذلك من فساد النظر الذي هو من مخلفات التحليل الغربي ، على حين أن الحضارة الإسلامية قد وصلت إلى أوج كمالها في الواقع في العهد النبوي الميمون ، وتكتمل بركاتها وثمارها الطيبة وتتوسع لحد اليوم ، فضلاً عن العهود العباسية فإنه إذا لم يكن الأمر كذلك فبماذا يؤول اتساع رقعة الدعوة الإسلامية اليوم في الساحات الأمريكية ، الشمالية والجنوبية ، والاسترولیا مثلاً .

وهنا يثور سؤال ما هو المقاصد والأهداف الأصلية التي ترمى إليها العلمنة والعلمانية ، وظلت اليهودية منذ قرون كثيرة تسعى لتحقيقها على النطاق الدولي ، أولاً في المجتمعات المسيحية ، وثانياً في المجتمعات المسلمة ، والتي بدأت اليوم تستخدم وسائل العنف والإرهاب العالمي كآلة ناجحة لها ؟

---

(١) انظر : السيد أمير علي ، يكتب في كتابه : (The spirit of the Islam) "روح الإسلام" في باب الروح العقلي والفلسفي ما ترجمته : "إن العقلانية والفلسفة والعلم والفن سقط كل ذلك أمام تلك الغارة العشوائية ، سقوطاً لا صعود بعده" : ص/٤٥٠ ، المطبع الجامعي مشيون ، لندن ١٩٦٩م .

ومن الملحوظ أنه يراد بالعلمنة هنا حركات التعقلية والإنسانية في أنواعها المتعددة ، وإجابة على هذا السؤال ، نقول : إن العلمنة لا تهدف أصلاً إلى إقامة نظرية مطلوبة ومرغوب فيها للحياة الإنسانية ، بل إنها اقتراح مهلك ومدمر ، يتولاه اليهود لأعدائهم فقط ، أما بالنسبة لهم بالذات ، فإنهم لا يرون اختياره كوسيلة تقدمية أو نظرية مفيدة للبشر ، بل يحاولون أن تكون مجتمعاتهم هم محفوظة ومصونة من جناياته ، في حين إنهم يحاولون أن تغرق المجتمعات الأخرى ، وخاصة أعداؤهم - المسلمون والمسيحيون - في بحره ، ويهدفون من كل ذلك إلى :

١- القضاء على الأديان المعاندة لهم ، باعتبارها معوقاً كبيراً في سبيل التوصل إلى غايتهم الأصيلة ، وهي أن يستأثرو العالم كله دون غيرهم ويكونوا محبويين عند اللّه ، ويكون كل من سواهم مبغوضاً عنده من كل الاعتبارات ، وعلى ذلك فإن الأمة المحمدية يشكل لهم غرضاً يرمي ويوجه إليه كل عواطف البغض والنفرة والعداء والحسد ، إحساساً منهم بأنه لا يحصل لهم المحبوبية عند اللّه إلا إذا تنازلت الأمة المسلمة عن مكانتها الرفيعة و وظيفتها المنوطة بها ، وتسفلت وانحطت من درجة الاجتبائية إلى زمرة الوحوش ، ولذا إذا كان اليهود يبذلون جهوداً جبارةً لاستعادة مكانتهم المفقودة من جديد في جانب ، ففي جانب آخر يتبنون هدف هدم الدين الرباني متحالفين مع الشيطان وقواته ، باعتباره أنجح وسيلة للوصول إلى البغية المنشودة ، وذلك ينم عن تضاد ظاهر وتناقض عجيب ، تتصف به النفسية اليهودية في الإرادتين اللتين تريد تحقيقهما ، ويبدو من خلال ذلك افتراق الشخصية الذهنية (Personality split) لليهود أيضاً .

[للبحث صلة]

☆☆☆

الدعوة الإسلامية :

تطور المساجد في التاريخ الإسلامي

(٣/الأخيرة)

الدكتور شوكت محمد عليان
أستاذ الثقافة الإسلامية - الرياض

❁ ثانياً : العناصر المعمارية التي دخلت على المسجد :

فضلاً على العناصر الأساسية للمسجد ، والتي ذكرناها آنفاً ، هناك عناصر أخرى دخلت على عمارة المسجد فيما بعد ، وأصبحت متممة لعمارته ومشيرة إلى مكان بنائه ، ومن هذه العناصر الإضافية : المئذنة ، والقبة ، والعقد ، والعمود ، والزخارف الأخرى التي تؤدي دورها كعناصر معمارية أو زخرفية مكملة .

☆ ١- المئذنة : والمئذنة هي المنارة التي يعلوها المؤذن ينادي إلى الصلاة في مواقيتها بالصيغة المعروفة :

= ألله أكبر .. ألله أكبر ... ألله أكبر .. ألله أكبر .

= أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن لا إله إلا الله .

= أشهد أن محمداً رسول الله ... أشهد أن محمداً رسول الله .

= حي على الصلاة ، حي على الصلاة .

= حي على الفلاح ، حي على الفلاح .

= ألله أكبر .. ألله أكبر .

= لا إله إلا الله .

وكان أول من رفع الأذان ، هو بلال بن رباح ﷺ ، مؤذن رسول الله ﷺ ، ولم يكن هناك مكان معين في المسجد لرفع الأذان ، فكان بلال يرتقي اسطوانة مرتفعة في دار عبد الله بن عمر ، المواجه للمسجد النبوي الشريف .

و يجمع مؤرخو المسلمين ، على أن المساجد التي بنيت في الجزيرة

العربية وسواها من الأمصار التي دخلت في دين الله ، كانت بلا مآذن ، وأن أول من بني مئذنة في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ ، وذلك في المسجد الجامع الكبير بدمشق الشام .

ومع مرور الزمن ، باتت المئذنة قطاعاً قائماً بذاته من فنون العمارة الإسلامية ، فقد وجهت لها عناية كبيرة في التصميم والتنفيذ ، وتفاوتت ارتفاعاتها إلى عدة عشرات من الأمتار ، وزخرف بناؤها ، وزين بالنقوش الإسلامية البديعة ، وأعطيت أشكالاً شتى ، ما بين مدورة ، ومضلعة ومربعة ، وقاعدتها تتناسب طرداً مع ارتفاعها ، ويداخلها سلم حلزوني يصعد إلى شرفتها حيث يقف المؤذن وينادي للصلوات .

وفي بعض المساجد ، لا سيما الكبيرة منها ، بنيت أكثر من مئذنة ، و وصل عددها في بعض المساجد إلى عشر ، كما هو الشأن في المسجد النبوي الشريف ، عبر مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، في التوسعة الكبرى الحديثة .

وأطلق على المئذنة - أيضاً - اسم "المنارة" وقد جاءت التسمية من القناديل التي كانت تضاء فيها ليلاً ، ثم استخدمت في إضاءتها الطاقة الكهربائية على أن اسم "المنارة" كان منتشراً حتى قبل إنارة المآذن ، وفي أخبار العهد الأول من الإسلام ، قيل : إن بلال بن رباح ﷺ ، كان يؤذن من أعلى منارة يقف فيها على اسطوانة - أي عمود - في بيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ويعتقد - في هذا الصدد - أن التسمية جاءت من "الهداية" حيث الصلاة عمود الدين ، وخلال حوالي ألف ومائتي سنة ، بعد الهجرة ، بات إنشاء المآذن جزءاً لا يتجزأ من إنشاء المساجد ، وتنوعت أشكال المآذن وهندستها ، بتنوع العصور التي مرت على ديار المسلمين ، واشتهرت بعض المدن الإسلامية بعدد مآذنها ، كما هو الحال في القاهرة التي تعرف بمدينة الألف مئذنة ، واستنبول التي تعرف بمدينة الـ "٤٤٤" مئذنة .

و صنف المتخصصون في العمارة الإسلامية ، طرازات المآذن و أشكالها ،

في فئات تتصل إما بالحقب التاريخية ، أو بالبلد الإسلامي الواحد ، أو بأشخاص بناتها من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء .

وأنشئت بعض المآذن من طبقات عديدة ، كل طبقة منها تختلف في تصميمها عن الطبقات الأخرى ، وأشهر أمثلتها مئذنة مسجد ابن طولون في القاهرة ، التي تتألف من ثلاث طبقات أولها - وهي القاعدة - مربعة والثانية اسطوانية ، والثالثة ذات ثمانية أضلاع .

وهناك اليوم عدد لا يحصى من طرازات عمارة المآذن في شتى أنحاء العالم ، يتفق كل منها مع البيئة التي أقيمت فيها ، باستيحاء الطابع المعماري الغالب في تلك البيئة ، وتطويره بما يتناسب مع هندسة المساجد ومآذنها .

وفي هذا الصدد ، يمكن أن نشير إلى الطرازات العربية ، في شبه الجزيرة العربية ، و الطرازات السلجوقية ، و المملوكية ، و المغولية ، و الأتابكية ، والأيوبية ، وقبلها الأموية والعباسية ، وطرازات آسيا الوسطى ، وشمال إفريقيا ، والأندلس وغيرها .

ففي كل من هذه الطرازات روائع من الإبداع المعماري ، الذي يعتبر فناً إسلامياً خالصاً ، تأثر به معماريو أوربا ، واقتبسوا منه في عمارة أبراج كنائسهم ومعابدهم .

ومن نماذج المآذن التي بلغت حداً عالياً من الروعة تصميماً وتنفيذاً ، مآذن المسجد الحرام في مكة المكرمة ، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة ، والجامع الأزهر ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزرق ، ومسجد السلطان حسن في القاهرة ، والجامع الأموي في دمشق ، والجامع الكبير في سامراء (وفيه المئذنة الملوية المعروفة) ، ومئذنة مسجد زكريا الكبير في حلب ، و مسجد النوري في الموصل ، و مسجد أيا صوفيا ، و جامع شاهزاد في استنبول ، والمسجد الكبير في الرباط ، وجامع القيروان ، ومسجد الزيتونة في تونس ، والجامع الكبير (الخيرالدا) في الأندلس - أسبانيا ، ومسجد مدرسة شارمنار في بخارى ، ومسجد مدرسة شيردور في سمرقند ، ومسجد مسعود

الثالث في أفغانستان (غزنة) ، ومسجد قطب الدين ، ومسجد شاهجهان ، وكلاهما في دلهي ، ومسجد جهانكير في لاهور ، وغيرها مئات ومئات .

☆ ٢- القبة : نشأت القبة في المسجد لغرض تغطية المباني المستديرة وهي من أجمل العناصر المتعاونة على إبراز مظهر الجوامع وإظهار تكوينها المتناسق المتزن مع المآذن ، بحيث أصبح شكل هذين العنصرين المعماريين من أهم عناصر تكوين الجامع ، بالرغم من أنهما لم يكونا من العناصر التي ظهرت مع المسجد الأول ، وكان البناء الأول البسيط للقبة يقوم على هيكل دائري الشكل من الخشب يوضع فوق الجدران لتبنى فوقه القبة من الخشب بالشكل المطلوب ثم تكسى من الخارج بصفائح من الرصاص ، ومن الداخل بطبقة من بلاط الجبس أو المصيص ، وهذا هو الأسلوب الذي أتبع في بناء أول قبة في تاريخ العمارة في العصر الإسلامي ، وهي قبة الصخرة المشرفة .

☆ أول قبة للمسجد في الإسلام :

وأول قبة بنيت في المسجد في الإسلام هي التي أمر بها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بناء قبة الصخرة المشرفة سنة ٧٢هـ الموافق ٦٩١م بالحرم القدسي الشريف ، وكان بناء هذا المسجد على شكل قبة فوق الصخرة هو أول دخول شكل القبة في المساجد ، وقد أراد الخليفة عبد الملك ابن مروان أن يكون هذا البناء الرائع متناسباً مع ما لهذا الموقع من تقدير وإجلال لما أنزل الله فيه من آيات ، فجاء بناء القبة المشرفة وزخارفها الجميلة غاية في الإتقان والروعة .

وبناء القبة المشرفة عبارة عن بناء حجري مثمن الشكل إذ أن قوامه مثمن على حوائط خارجية من الحجر الأصم ، وبداخله مثمن داخلي من الأعمدة والأكتاف ، وبداخل هذا المثمن دائرة أخرى من الأعمدة والأكتاف التي تحمل القبة المجنحة مثمنة الجوانب المحمولة على اسطوانة بها ١٦/نافذة من فوقها .

أما عن إنشاء القبة نفسها فهي مصنوعة من الخشب ، و تكسوها من

الخارج طبقة من صفائح الرصاص للحماية من العوامل الجوية ، و تغطيها طبقة من الجبس كبياض داخلي عليه زخارف عربية ملونة بالألوان الجميلة الزاهية ، هذا عن قبة الصخرة المشرفة ، وقد تلى ذلك انتشار استعمال عنصر القبة في المساجد لما في ذلك من جمال معماري ، وما توفره للمكان من تهوية لازخة للمصلين ، فعندما تغطي القبة بيت الصلاة بالمسجد ، تسحب الهواء الساخن الذي يرتفع إلى أعلا ، فيخرج من النوافذ المطلة على الناحية المشمسة ، أما النوافذ التي في الناحية الظليلة ، فيدخل منها الهواء الرطب البارد ، وتستمر دورة التيارات الهوائية تماماً كما يحدث في مدخنة المدفأة التي تسحب الهواء الساخن المحمل بثاني أكسيد الكربون وتأتي بالهواء الجديد وبه الأكسجين النظيف ليساعد على التنفس في جو صحي .

وقد ظهر شكل القبة حسب التسلسل التاريخي بعد ذلك في مسجد الجامع الأموي بدمشق ، وقد أمر ببنائه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩هـ الموافق ٧٠٦م .

وتعتبر قبة جامع ابن طولون في مصر مثلاً للقباب الإسلامية التي أخذت طابع العمارة الإسلامية التي اتجهت إلى أسلوب القباب المدببة التي اتبعت لتحاشي طول المدة المطلوبة لعمل القباب بالطريقة نصف الكروية التي كان يتحتم فيها الانتظار لجفاف المونة ، وهكذا نرى انتشار القباب وثبوت بنائها في معظم مباني المساجد بالأمصار الإسلامية ، وقد زادت أحجامها ، وخاصة في عمارة المساجد التركية حتى نرى أنها غطت محراب القبلة بكاملها تقريباً في محاولة لإخلاء ممر القبلة من الأعمدة حتى لا يعوق صفوف المصلين أي عائق .

☆ ٣- العقد : اهتم العرب في العصر الإسلامي بعمارة المساجد والجوامع ، وكانت تبنى على شكل صحن مكشوف وحوله إيوانات مسقوفة ، أهمها إيوان القبلة أو بيت الصلاة ، وكان السقف في البداية يصنع من الجريد ، وسعف النخيل ، ويحمل على أعمدة من جذوع النخل ، أو كان السقف يصنع من

الخشب ، ويحمل على عمد فوقها الأعتاب التي تحمل السقف ، ثم تطورت إلى العقود الحجرية التي يستعاض بها عن الأعتاب الخشبية العادية ، وكان لهذه العقود دور هام في تجديد طراز العمارة الإسلامية في الأمصار المختلفة .

وللعقود أشكال مختلفة ، فمنها العقود نصف الدائرية ، ومنها العقد الدائري المرتد الذي يشابه حدوة الفرس ، ومنها العقد المرتد المدبب ، ومنها العقد المخموس ، والمخموس المرتفع ويطلق عليه المدبب ، وهو ينتج عن تقاطع دائرتين ، ولذلك فلانحنائه مركزان ، أما العقد المخموس ذو الثلاثة مراكز فيظهر من تسميته أن له ثلاثة مراكز ، وكذلك العقد ذو الأربعة مراكز ، أما العقد الثلاثي ، أو متعدد العقود فيطلق عليه كذلك متعدد الخانات أو المصفح أو المفصص ، ومنها كذلك العقد المستقيم الذي يعلوه عقد آخر منحني لتخفيف الحمل .

ونلاحظ أن أقوى هذه العقود هو العقد المدبب والمسنن ، لأن ثقل الأوزان المحملة عليه ينحدر إلى الأرجل ثم إلى كتف البناء ، كما نلاحظ أن هذه العقود هي الأساس في تطوير السقوف المقببة والقباب .

وقد تطور هذا الفن في البلاد الإسلامية من طرز مختلفة للعقود ومنحنياتها وزخارفها طبقاً لطبيعة البلد التي عمل بها واستعمل فنانوها وبناؤها مواد البناء المتوفرة فيها ، ولذلك فقد امتازت العمارة العربية ، بتنوع أشكال العقود .

☆ ٤- الأعمدة : تعتبر الأعمدة من أهم العناصر المعمارية الإنشائية بالمباني والمساجد ، وقد كانت في البدايات الأولى لبناء المساجد من جذوع النخل لتحمل السقف المصنوع من جريد النخل ، ولما انتقلت صناعة البناء من الطين إلى الأحجار ، عملت الأعمدة بقاعدة وساق وتاج أعلاها ، فالقاعدة هي التي يرتكز عليها العمود كأساس على الأرض ، والساق أو البدن الذي يعتمد عليه العمود ، والتاج وهو رأس العمود ، وهو الجزء الزخرفي العلوي الذي كانت فائدته من الناحية الإنشائية كمخدة أو قاعدة لتلقي الأحمال ونقلها

إلى جسم العمود ، وكان الأقدمون يزخرفونه بالنباتات والأزهار ، ولذلك فإن أشكال هذه النباتات والزهور قد انتقلت إلى صناعة الأحجار مع تطور البناء فظهرت الأعمدة النخيلية ، وأعمدة نبات البردي ، وأعمدة نبات اللوتس .. إلخ.

☆ ٥- الشرّافات : والشرّافات هي النوافذ أو الشبابيك مختلفة الأشكال والأحجام ، وهي نوع من أنواع التجميل المستحب في معظم المباني ، وهي تتنوع إلى نوعين :

الأول : الشرافات المورقة ، وهي التي تمثل زخارف محورة من أشكال أوراق النباتات المختلفة في خطوط تجريدية بسيطة .

الثاني : الشرافات المسننة ، سواء كانت هذه الأسنان مائلة ، وهي التي يطلق عليها الشرافات المسننة المنشارية ، أو كانت بأسنان غير مائلة .

وفي الحقيقة أننا نجد في الشرافات عنصراً جمالياً من أهم الزخارف التي استعملت في الأبنية العربية عامة ، وفي أبنية المساجد بصفة خاصة ، وأصبحت من سماتها الظاهرة في مساجد الشرق العربي ، ومن هنا فقد اهتم بها الناس لما لها من تأثير جذاب ، فهي من العناصر الجميلة التي يستحسن أن لا نغفلها في بناء المساجد الجديدة .

☆ ٦- المقرنصات : والمقرنصات هي زخارف تشبه خلايا النحل ، استعملت في المساجد كعامل إنشائي ، ثم استعملت كعامل زخرفي للتجميل ، وقد بدأ ظهور المقرنصات في القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم أقبل رجال المعمار على استعمالها في المباني الإسلامية وبناء المساجد ، وأصبحت من سماتها الظاهرة في تصميم الواجهات والمآذن والقباب والأسقف الخشبية والأعمدة ، واختلفت أشكالها باختلاف الزمان والمكان ، والغرض الذي تعمل من أجله .

والأصل في استعمال المقرنصات كعامل إنشائي كان للتدرج من السطح المربع إلى السطح الدائري الذي يراد إقامة القباب عليه وقد طور العرب كل الأفكار القديمة ، وتوصلوا في العصر الإسلامي الزاهر إلى فكرة الانتقال من المربع إلى المثمن لبناء القباب عن طريق المقرنصات التي أخذت تنتشر

بسرعة ، فاستعملت في القباب والمآذن والأسقف الخشبية والأعمدة وغيرها من عناصر البناء الإنشائية والزخرفية ، كما أخذت المقرنصات أشكال متعددة حسب الاستعمال ، وحسب الشكل المطلوب .

❁ ب - الأشكال المعمارية للمساجد :

المساجد عامة على الرغم من تاريخها الطويل ، وتعدد أشكالها لم تخرج في تكوينها العام عن هيكل مسجد رسول اللّه ﷺ في المدينة المنورة ، فالمعماريون المسلمون وإن تفننوا في ابتداع أشكال المساجد وصحونها ومحاريبها وقبلاتها ومنابرها وأروقتها لم يضيفوا عنصراً رئيسياً واحداً إلى عمارة المساجد الحديثة .

ويمكن تقسيم الأشكال المعمارية للمساجد تبعاً لقدمها التاريخي إلى سبعة أشكال :

☆ الشكل الأول : المغربي .
☆ الشكل الثاني : الأندلسي .
☆ الشكل الثالث : المصري .
☆ الشكل الرابع : السلجوقي .
☆ الشكل الخامس : الهندي .
☆ الشكل السادس : الصفوي .
☆ الشكل السابع : العثماني .

فأما الشكل المغربي فأهم ملامحه تركيزه على بيت الصلاة والاهتمام بتعميق جوفه حتى يصبح مربعاً أو قريباً من المربع ، وتمتاز مساجد الشكل المغربي بمنابرها البديعة كما هو ماثل في مسجد عقبة بن نافع في القيروان .

أما الشكل الأندلسي فقد ولد مع إنشاء الجزء الأول من مسجد قرطبة الجامع على يد عبد الرحمن الداخل ومن بعده ابنه هشام ، فهو إذا يأتي زمنياً تالياً للشكل المغربي ، وهو قائم على طريقة المزاوجة في صنجات العقد بين الحجر المنحوت وقوالب الآجر ، وقد تعمد صانعوه أن يكون السقف خشبياً خفيفاً لكيلا يزيد الثقل على الأعمدة ، و زينت أبوابه بشماسات حقيقية أو

صماء ، وهذا المسجد يمثل طراز الخلافة أحد الطرز الأندلسية .

هناك من الطرز الأندلسية الطراز المدجن نسبة للمسلمين الذي بقوا في نواحي الأندلس التي سلبها النصارى ، وقد تطور في آخر صورة إلى طراز زخرفي مثقل بالزخارف والشماسات والقمريات ، وهذا التطور قد عد آخر فصل في تاريخ العمارة الإسلامية في الأندلس .

أما الشكل المصري فقد غيز برصانة البناء ومتانة تأسيسه والمحافظة على الوحدة الفنية في البناء مع الحرص على توازن الهيئة العامة للمبنى ، وباستثناء الأزهر تتميز كل المساجد المصرية بهذا التوازن العام في المبنى ، فلو نظرنا إلى مئذنة مصرية نلحظ فيها هذا التوازن من حيث قطر الدائرة والارتفاع وعدد الشرفات .

وأما الشكل السلجوقي فلا يتخذ هيئة واحدة متميزة بخصائص واضحة ، وإنما الرابطة فيه تتعلق بخصائصه التفصيلية من ناحية المواد المستعملة والطرق الفنية ، وقد أحسن المعماريون استخدام الأحجار ما بين حجرية ورملية وجرانيتية ورخام ومرمر ، فخامات الصخور التركية السلجوقية بديعة في صلابتها وتكوينها ، كما أن جودة الآجر الذي استخدمه المعماريون لا تقل عن جودة الحجارة ، ومن هنا جاءت مساجدهم متينة ومحكمة ومزخرفة بإحكام ودقة ، واستطاعوا بمهارة أن يصنعوا الواجهات والعقود والأزر والمثلثات الكروية والقباب والمآذن ، كما تفننوا في ابتكار أشكال زخرفية بديعة ، وبرعوا في استخدام الجص والفخار والخزف ، وابتدعوا الفسيفساء للزخرفة ، كما استخدموا التصوير على الخشب والمعادن والزجاج .

❁❁❁

الاستيعاب الإبداعي لرسالة الإسلام

(بصائر وصُوى للأديب المسلم)

بقلم : الدكتور أحمد عطية السعودي
الأردن

❁ كان نزول القرآن الكريم على النبي الكريم ﷺ بلسان عربي مبين أعظم حدث في الكون ، وأجزل نعمة ، وأنصع حجة ، وأبلغ رسالة ، وأبهر معجزة .

وقدّر الله سبحانه أن تكون هذه المعجزة بيانية عقلية خالدة على مر الأزمان لما لنعمة البيان من أثر كبير في توجيه الإنسان إلى الفكر الثاقب ، والسلوك السوي ، وإحقاق الحق ، وإبطال الباطل : ﴿ هذا بيان للناس * وهُدىً وموعظةٌ للمتقين ﴾ [سورة آل عمران ، الآية/١٣٨] .

و كان من تكريم الله تعالى للإنسان أن أنعم عليه بنعمة البيان : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [سورة الرحمن ، الآيات/١-٤].

وقديماً دعا موسى عليه السلام ربه أن يرسل معه أخاه هارون لِما أوتي من فصاحة وحسن بيان لتسخيرها في دعوة فرعون بالقول اللين : ﴿ وأخي هارون ! هو أفصح مني لساناً * فأرسله معي ردءاًيصدقني * إني أخاف أن يكذبون ﴾ .

[سورة القصص ، الآية/٣٤]

وقد اعتني الإسلام عناية كبيرة بصناعة البيان التي تولد مع الإنسان أول ما يولد ، لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى عقله وطبيعة خلقه (١) .

❁ والأديب المسلم ينهل من هذا البيان الرباني المعجز ما يملأ فؤاده إيماناً ونوراً ، ويمنح لسانه فصاحة وعذوبة ، ويطلق قلمه إبداعاً وتعبيراً رائعاً .

---

(١) انظر : د/محمد عمارة : "الخطابة في موكب الدعوة" : ص/٣٢-٣٧ .

هذا الكتاب المعجز الناطق بالحق قد أذعنت له أعناق العرب ، وهم أهل لسن وفصاحة قد فاخروا بها الأمم ، وإنه لجدير بالأديب المسلم أن يتمرس بنصوصه الجمالية وروائعه الأدبية وأغاطه العالية بعد طول تدبر لآيات اللّه المسطورة منها والمنظورة (١) .

وقد نشأت علوم كثيرة في ظل كتاب اللّه تعالى كان من أجلها علم البيان وهو أحد علوم البلاغة العربية ، وهو علم الصور البديعة التي من شأنها أن تهزّ أعطاف النفس ، وعلم الصور الكلامية المؤثرة التي تهزّ النفس هزّة طرب وتقدير (٢) .

❁ وقد أحدث القرآن الكريم أثراً هائلاً في العرب ولغتهم فصقل نفوسهم ، وهذّب طباعهم ، وطهر عقولهم من رجس الوثنية ، وعفن الجاهلية ، وألف بين قلوبهم ، وجمعهم على كلمة واحدة ، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد ، ونزع من صدورهم الإحن والضغائن والأحقاد (٣) .

وقد استقى الصحابة الكرام من نبع القرآن ، وتخرجوا عليه جيلاً مميزاً في تاريخ الإسلام كله ، وفي تاريخ البشرية جميعه ، لأن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بروح المعرفة المنشئة للعمل منهاج حياة وسبيل رشد وسداد (٤) .

والقرآن مصدر الإسلام دين المعجزات في كل شئ ، وهو دين متناسق مستجيب للفهم والموازنة بين الأمور يضع المعجزة في موضعها من التفكير ومن الاعتقاد ، فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق المبدع لكل شئ ، ولكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره (٥) .

---

(١) انظر : د/محمد علي أبو حمدة : "من أساليب البيان في القرآن الكريم" : ص/٧-١٧ .

(٢) انظر : د/فضل حسن عباس : "البلاغة فنونها وأفنانها" : ص/٧-١٦ .

(٣) انظر : د/عبد الجليل عبد الرحيم : "لغة القرآن الكريم" : ص/٥٨٣-٥٨٤ .

(٤) انظر : سيد قطب : "معالم في الطريق" : ص/١٤-٢٣

(٥) انظر : عباس محمود العقاد : "التفكير فريضة إسلامية" : ص/١١٨-١٢٨ .

❁ أمانة الإنسان :

بين القرآن الكريم أن اللّه سبحانه وتعالى لما خلق السماوات والأرض ، والجبال عرض عليهن الأمانة ، ولكنهن أبين أن يحملنها ، وأشفقن من حملها استصغاراً لأنفسهن ، وخوفاً من تبعتها ، وتعظيماً لها ، وخشية ثقلها وشدتها ، وبالرغم من ذلك فقد حملها الإنسان والتزم بها ، وتحمل مسئولياتها وتبعتها ، فجعل اللّه سبحانه الثواب لمن أداها والتزم بها ، والعقاب لمن خانها ورغب عنها : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال * فأبين أن يحملنها وأشفقن منها * وحملها الإنسان * إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ .

[سورة الأحزاب ، الآية/٧٢]

وقد اختلف المفسرون في معنى : "الأمانة" ، وتعددت شروحهم ، ومن معانيها التي ذكرت : ☆ العقل .... ☆ الطاعة .....

☆ الأحكام والفرائض ، والدين والحدود ، وأمانة الأموال (١) .

ولعل المتدبر للآية الكريمة يجد أن تعذيب المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ، إنما جعل بسبب إعراضهم عن تحمل الأمانة .

وأن المؤمنين والمؤمنات إنما تاب اللّه عليهم لأنهم عبدوه والتزموا بشرعه بالرغم من تقصيرهم في طاعته ، وإدراك فضله .

وقد بين القرآن الكريم أن الغاية من خلق الجن والإنس ، هي عبادة اللّه في الأرض ، وأن اللّه سبحانه سيحاسبهم على هذه الأمانة ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون * ما أُريد منهم من رزق * وما أُريد أن يُطعمون * إن اللّه هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [سورة الذاريات ، الآيات/٥٦-٥٨].

وذكر ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ ليُعذب اللّه المنافقين والمنافقات * والمشركين والمشركات ﴾ .

إنما حمّل بين آدم الأمانة ، وهي التكاليف : ﴿ ليُعذب اللّه المنافقين

---

(١) انظر : "الأقوال في تفسيرها في مجمع البيان" -للطبرسي : ج/٢٢ ، ص/١٧٣ .

والمنافقات ﴾ وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله ، ﴿ والمشركين والمشركات ﴾ وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله (١) .

ويقول سيد قطب في تفسير الآية : إن السماوات والأرض والجبال خلائق ضخم هائلة تعرف بارئها بلا محاولة ، وتهتدي إلى ناموسه الذي يحكمها بخلقتها وتكوينها ، وهي تجري وفق هذا الناموس دائبة لاتني ولا تتخلف دورتها جزءاً من ثانية ، وتمضي لشأنها بإذن ربها ، وتعرف بارئها ، وتخضع لمشيئته بلا جهد منها ، ولا كدّ ولا محاولة ، لقد أشفقت من أمانة التبعة ، أمانة الإرادة ، أمانة المعرفة الذاتية ، أمانة المحاولة الخاصة (٢) .

وهذا دليل بين على أن الأمانة هي العبادة القائمة على حرية الاختيار ، وإرادة الأفعال والأعمال ، وما تقتضي من التزام بالطاعات ، وترك للمعاصي ، وتحصيل الثواب أو العقاب ، وتظهر علائم الأمانة والقيام بها أحسن قيام على العبد المؤمن في سعادته في الدنيا وطمأنينته ورضاه بقدر الله فيُكتب مع أهل السعادة في عليين (٣) .

۞ دعوة الأنبياء والرسل :

إن القرآن الكريم هو منهاج الإسلام الأسمى ، وكتاب العربية الأكبر : ﴿ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه * و لا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

[سورة فصلت ، الآية/٤٢]

والإسلام هو خاتم الرسالات ، والدين الوحيد الصحيح الذي يُحقق العبودية الكاملة ويصل العبد بربه .

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد علي الصابوني : ص/١١٩ .

(٢) انظر : "في ظلال القرآن" : ج/٦ ، ص/٩١٧-٩١٩ .

(٣) انظر : عبد الحميد السائح : "عقيدة المسلم وما يتصل بها" : ص/١٨٢-١٨٦ .

ولكلمة الإسلام معان مختلفة تدل على معنى :

☆ الخلوص والتعري من الآفات الظاهرة والباطنة .

☆ الصلح والأمان . ☆ الطاعة والإذعان (١) .

ومعناه في الشرع : توحيد الله والانقياد له بالطاعة والخضوع ، والخلوص من الشرك ، والإيمان بالأصول الدينية التي جاءت من عند الله ، والرضى المطلق بأمره ، و نهيه مع التزام الفعل في الأمر ، و ترك الفعل في النهي (٢) .

وقد جاءت تسمية الإسلام من عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

[سورة المائدة ، الآية/٣]

وفي هذا الدين العظيم : إيمان وعمل ، وعقيدة وشريعة ، وعلم وتعلّم ، وعبادة ودعوة ، وقدوة ورحمة ، وهو دعوة الأنبياء والمرسلين ، ومنهج الأولياء والصالحين من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ .

فنوح عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام ويعلن فيهم : ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر * إن أجري إلا على الله * وأمرتُ أن أكون من المسلمين ﴾.

[سورة يونس ، الآية/٧٢]

وإبراهيم عليه السلام يأمره ربه أن يُسلم فيسلم ويطمئن قلبه ، ويوصي أولاده بالإسلام : ﴿ ومَن يرغب عن ملة إبراهيم * إلا من سفه نفسه * ولقد اصطفيناه في الدنيا * وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم * قال : أسلمتُ لرب العالمين * و وصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب * يا بُنيّ ! إن الله اصطفى لكم الدين * فلا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

[سورة البقرة ، الآيات/١٣٠-١٣٢]

ويوسف عليه السلام يدعو الله أن يتوفاه مسلماً ، ويلحقه بالصالحين ، لينال

---

(١) انظر : غفيف عبد الفتاح طبارة : "روح الدين الإسلامي" : ص/١٣ .

(٢) انظر : د/عبد الوهاب الشيشاني : "حقوق الإنسان وحرياته الأساسية" : ص/٣٠١ .

مرضاته ، وينعم بعفوه ورحمته : ﴿ رب قد آتيتني من الملك * وعلمتني من تأويل الأحاديث * فاطر السماوات والأرض * أنت وليي في الدنيا والآخرة * توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ . [سورة يوسف ، الآية/١٠١]

وموسى عليه السلام يدعو قومه إلى الثبات على الإيمان ، والتوكل على اللّه ، لأن ذلك من صفات المسلمين حقاً : ﴿ وقال موسى : يا قوم ! إن كنتم آمنتم باللّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ . [سورة يونس ، الآية/٨٤]

وعيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة اللّه ، واتباع صراطه المستقيم ، فيؤمن معه أنصاره الحواريون ويعلنون إسلامهم لله تعالى : ﴿ إن اللّه ربي وربكم فاعبدوه * هذا صراط مستقيم * فلما أحس غيسى منهم الكفر * قال : من أنصاري إلى اللّه * قال الحواريون : نحن أنصار اللّه * آمنا باللّه * واشهد بأنا مسلمون ﴾ . [سورة آل عمران ، الآيتان/٥١-٥٢]

ومحمد ﷺ يأتي برسالة الإسلام المكملة للرسالات السماوية السابقة ، ويُوحي إليه كما أوحي إليهم ، لينذر الناس ويبشرهم ، ويعلن لهم أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأنه مرسل إلى الناس أجمعين : ﴿ قُل : يا أيها الناس ! إني رسول اللّه إليكم جميعاً * الذي له ملك السماوات والأرض * لا إله إلا هو يُحيي ويُميت * فآمنوا باللّه ورسوله النبي الأمي * الذي يُؤمن باللّه وكلماته * واتّبعوه لعلكم تهتدون ﴾ . [سورة الأعراف ، الآية/١٥٨]

وأنه قد جاء بدين سمح رحمة للعالمين يوافق الفطرة والعقل والحياة ، ويهدي إلى الحق والخير ويدعو إلى صراط مستقيم : ﴿ ألا يعلم من خلق * وهو اللطيف الخبير ﴾ . [سورة الملك ، الآية/١٤]

❁ قواعد الشريعة :

جاءت شريعة الإسلام شاملة لكل جوانب الحياة ، توثق عرى الاتصال بين الإنسان وخالقه ، والإنسان والكون الذي يعيش وأخيه الإنسان .

وتجيب هذا المخلوق عن الأسئلة التي تشغل فكره : ☆ من أنا ؟.

☆ ولِمَ خُلقت ؟. ☆ وكيف أعيش ؟. ☆ وإلى أين المصير ؟.

و أرست شريعة الإسلام قواعد عظيمة لتسير حياة الإنسان على أساسها ، لأنها تكفل السعادة والفوز في الدارين لمن التزم بها شرعة ومنهاجاً.

☆ ومن أهم هذه القواعد :

١- قاعدة التوحيد : وهي أساس الإسلام ، تقرر لله تبارك وتعالى التوحيد المطلق في الذات والصفات ، وتبين أن اللّه واحد أحد ، وأنه لم يلد ولم يولد ، وليس كمثله شئ ، وليس له مثيل ولا ندّ ، وأنه الخالق لكل شئ لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن له الأسماء الحسنى ، وتعلن أن الدخول لا يكون إلا بعقيدة التوحيد ، والإقرار بالرسالة : ﴿ لا إله إلا اللّه ، محمد رسول اللّه ﴾ .

وهذه الشهادة تقتضي الإيمان باللّه وحده لا شريك له ، والانقياد له في كل أمر ، والإيمان برسوله محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإطاعته ، والاقتداء بسنته ، والعمل بهديه (١) .

٢- قاعدة الإخلاص والاجتهاد في العبادة : بإقام الصلاة والمحافظة عليها لأنها عماد الدين ، و أساسه المتين ، و إيتاء الزكاة : تزكيةً للنفوس ، و تطهيراً للقلوب ، وتنميةً للأموال ، وصوم رمضان إيماناً واحتساباً ، وجنةً وحصناً من عذاب النار ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، حجاً مبروراً ، وسعياً مشكوراً : ﴿ وما أُمروا إلا ليعبُدُوا اللّه مُخلصين له الدين حُنفاء * ويُقيموا الصلاة * ويؤتوا الزكاة * وذلك دين القيمة ﴾ . [سورة البينة ، الآية/٥]

٣- قاعدة التحلي بالسلوك الحميد ، والعمل الصالح ، والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، و الخصال الكريمة ، و الآداب الطيبة ، و أداء الحقوق ، و فعل الخيرات ، ورعاية ذوي القربى والمحرومين والعطف على الناس (٢) :

---

(١) انظر : أبو الأعلى المودودي : "مبادئ الإسلام" : ص/٥٢-٥٩ .
= محمد بن عبد الوهاب : "الأصول الثلاثة وأدلتها" : ص/٥ وما بعدها .
= محمد أبو الهدى الصيادي : "ضوء الشمس" : ج/١ ، ص/٤٣-٤٨ .
= محمد جمال الدين القاسمي : "دلائل التوحيد" : ص/٢٢-٣٢ .

(٢) انظر : محمد قطب : "دراسات قرآنية" : ص/١٣٠-١٤٤ .

﴿ واعبدوا اللّه * ولا تُشركوا به شيئاً * و بالوالدين إحساناً * و بذي القربى و اليتامى والمساكين * والجار الجنب * والصاحب بالجنب وابن السبيل * وما ملكت أيمانُكم * إن اللّه لا يُحب من كان مُختالاً فخوراً ﴾ .

[سورة النساء ، الآية/٣٦]

٤- قاعدة تحرير العقل من الخرافات والأوهام وعبادة المخلوقات والأصنام ، ودعوته إلى التأمل في خلق اللّه ، والتفكر في آياته ، والانسلاخ من الجهل والظلام ، والبحث عن الحقيقة (١) .

﴿ قُل : سيروا في الأرض * فانظروا : كيف بدأ الخلق * ثم اللّه يُنشئ النشأة الآخرة * إن اللّه على كل شئ قدير ﴾ . [سورة العنكبوت ، الآية/٢٠]

٥- قاعدة طلب العلم ، والسعي إلى الحصول عليه حيث يكون ، وإجلال أهله ، والمشي إليهم ، وخدمتهم والتأدب معهم ، والحرص على طلبه ومدارسته وحفظه ونشره ، والعمل به ، وقد وجهت الشريعة المسلم إلى التفقّه في الدين ، واستنباط الأحكام ، واستشارة ذوي العقول والألباب (٢)

﴿ يرفع اللّه الذين آمنوا منكم * والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [سورة المجادلة ، الآية/١١] ، ﴿ فلَو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾ .

[سورة التوبة ، الآية/١٢٢]

٦- قاعدة إنصاف المرأة : ومنحها حقوقها في العلم ، والعمل ، والمال ، والتملك ، والعبادة ، والدعوة ، وتحريرها من ظلمات الجاهلية ، وإخراجها إلى نور الإسلام بعد أن كانت سلعة تباع وتشترى ، ومتاعاً يُهان ولا يُصان (٣) .

---

(١) انظر : د/عبد الوهاب الشيشاني : "حقوق الإنسان وحرياته الأساسية" : ص/٣٣٩-٣٦٦ ، وشوقي ضيف : "العصر الإسلامي" : ص/١٥-١٨ .

(٢) انظر : عباس محمود العقاد : "التفكير فريضة إسلامية" : ص/٨٥-١٠١ .

(٣) انظر : محمد متولي الشعراوي : "الإسلام حداثة وحضارة" : ص/٦١-٨٨ .

د/عبد الوهاب الشيشاني : "حقوق الإنسان وحرياته الأساسية" : ص/٦٨٣-٦٨٩.

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان * وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ . [سورة النساء ، الآية/٧]

٧- قاعدة العدالة الاجتماعية والتراحم والتعاون والتآخي في اللّه ، والتعاطف والتكاتف ، ومساعدة المحتاج ، ومساندة المتضرر ، وتفريج الكرب (١) :

قال ﷺ : "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (٢) .

٨- قاعدة العدالة الاقتصادية التي نظمت المعاملات ، وحرمت الربا والغش والاحتكار ، وشجعت على الكسب الحلال ، والإنفاق من الطيبات ، واستثمار الأموال ، وإنشاء المزارع والمصانع والمتاجر ، وشرعت نظام الزكاة ليعيش المجتمع المسلم في سعادة ورخاء (٣) : ﴿ خُذ من أموالهم صدقةً تُطهرهم وتُزكيهم بها ﴾ .

[سورة التوبة ، الآية/١٠٣]

٩- قاعدة تكريم الإنسان ، وتعظيم شأنه وإعلاء قدره ، وجعله خليفة في الأرض ، مفضلاً على سائر المخلوقات ، وهو مكرم حياً وميتاً .

وأن الناس جميعاً خلقوا من أصل واحد ، وهو التراب ، وسيعودون إلى هذا الأصل عندما يموتون ، وأنه لا فضل لأحد على أحد في لون أو عرق أو لغة أو إقليم أو جاه أو مهنة إلا بالتقوى والعمل الصالح (٤) .

---

(١) انظر : د/محمد عقله : "الإسلام ، مقاصده وخصائصه" : ص/١١٣-١١٩ .

د/حسن إبراهيم : "تاريخ الإسلام" : ج/١ ، ص/١٧٦-١٩٢ .

(٢) صحيح البخاري في كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم : م،٣ ، ج/٨ ، ص/١٢ .

(٣) انظر : سيد قطب : "السلام العالمي والإسلام" : ص/١٤٢-١٦٦ .

(٤) انظر : محمد قطب : "الإنسان بين المادية والإسلام" : ص/٦٩-١١٠ .

د/عبد الوهاب الشيشاني : "حقوق الإنسان وحرياته الأساسية" : ص/٦٤٥-٦٨١ .

عبد الرحمن النحلاوي : "أصول التربية الإسلامية" : ص/٦٤-٦٩ .

مجلة : " المجمع الفقهي الإسلامي" : س/٦ ، ع/٨ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م : ص/٢٠٢-٢٤٣ .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى * وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . [سورة الحجرات ، الآية/١٣]

١٠- قاعدة الارتباط بالعقيدة والتوحد في أمة مسلمة واحدة ، ونبذ العصبيات القبلية ، والدعوات الإقليمية ، وجعل الولاء لله ورسوله والمؤمنين (١) : ﴿ إن هذه أمتكم أمةً واحدةً * وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . [سورة الأنبياء ، الآية/٩٢]

❁ بصائر للأديب المسلم :

يستلهم الأديب المسلم من قواعد رسالة الإسلام خصائص شخصيته المتميزة وأصالته المتفردة ويتجلى ذلك في عدد من الجوانب :

١- وضوح المنهج الإسلامي : مِمّا يساعده على تحقيق أهدافه ، ويُلوغ مرامه ، وهو وضوح في التصور والسلوك والكلمة والعبادة وفي كل حركة وسكنة .

٢- تجارب الدُعاة : وهي تجارب تهبه عمقاً في التصور وثباتاً على الإيمان ، وأسلوباً متميزاً في هداية الناس ، وهي موضوعة بين يديه في القرآن الكريم .

٣- عالمية الرسالة : ويستمد عالمية أدبه من عالمية الدعوة الإسلامية التي لا تُحد بمكان ولا زمان ، فهو يجوب الآفاق معبّراً عن حياة الإنسان بفكره وقلبه وقلمه معلناً شعاره الأدبي الإسلامي الرائد : ﴿ إن أُريد إلا الإصلاح ما استطعت * وما توفيقي إلا بالله * عليه توكلتُ وإليه أنيب ﴾ .

[سورة هود ، الآية/٨٨]

٤- الفصاحة والبيان : والأديب المسلم يتدارس القرآن ، ويتعاهده ويقرأه كأنه يُنزّل عليه ، ويكتسب منه أروع البلاغة وأبدع الفصاحة وأدق البيان ضارعاً إليه سبحانه قائلاً : ﴿ رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عُقدةً من لساني * يفقهوا قولي ﴾ . [سورة طه ، الآيات/٢٥-٢٨]

☆☆☆

(١) انظر : سيد قطب : "هذا الدين" : ص/١١٨-١٤٢ .

تعليم المرأة في الإسلام

[٣/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد صادق حسين
دار المعارف الإسلامية ، ثيتا غونغ (بنغلاديش)

❁ المرأة المسلمة في رحاب العلم:

لما رأت المرأة المسلمة أن أمر التعلم والتعليم هو خاصية مميزة للإنسان عن سواه ، ولا يتميز الإنسان إلا بما أوتى من العلم (١) وللإسلام القدح المعلى في الحث على التعلم والتعليم من أول وهلته ، فلقد كان أول ما نزل من الوحي ، قوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان * ما لم يعلم ﴾ (٢) فدل ذلك على مكانة العلم وشرفه في الإسلام ، وقال عزّوجل : ﴿ قُل : هل يستوي الذين يعلمون * والذين لا يعلمون ﴾ (٣) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! قوا أنفسكم وأهليكم ناراً * وقودها الناس والحجارة ﴾ (٤)، أخرج ابن المنذر والحاكم وصححه ، وجماعة عن علي كرّم الله وجهه أنه قال في الآية : "علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم" والمراد بالأهل على ما قيل : ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة (٥) ، قال الآلوسي رحمه الله : "واستدل بها على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء ، وأدخل بعضهم الأولاد في الأنفس لأن الولد بعض من أبيه" (٦) ، وقال

(١) راجع : تفسير معارف القرآن -للشيخ المفتي محمد شفيع : ٧٨٥/٨ .

(٢) سورة العلق ، الآيات/١-٥ . (٣) سورة الزمر ، الآية/٩ . (٤) سورة التحريم ، الآية/٦

(٥-٦) روح المعاني -للآلوسي : ١٥٦/٢٨ .

تعالى مخاطباً أمهات المؤمنين رضي الله عنهن : ﴿ واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ (١) .

كذلك لما رأت المرأة المسلمة أن نبي الإسلام ﷺ قال اهتماماً بطلب العلم : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٢) ، وقال الحافظ المزي : "رأيت له خمسين طريقاً ، وقد جمعتها في جزء" (٣) وما إلى ذلك من الشواهد القرآنية والحديثية التي وردت في منزلة العلم وأهله ، فأحست المرأة - نتيجة لهذا الحث - بحاجتها إلى العلم ، فذهبت إلى النبي الكريم ﷺ تطلب منه مجلساً خاصاً بالنساء ، فقالت : يا رسول الله ! "غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن" (٤) فعلمهن مما علمه الله ، كذلك شمرت المرأة المسلمة عن ساق الجد لمواكبة الركب في رحاب العلم بكل حرص ونهم ، لقد بلغ حرص النساء المسلمات على العلم والمعرفة غايته حتى تطلبن المجالس الخاصة بهن للتعليم مع أنهن يستمعن في المسجد لتعليمه ومواعظه عليه السلام ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : "نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" (٥) .

كما نجد النبي الكريم ﷺ في عدة روايات يسن للنساء سنة مؤكدة شهود مجامع الخير يتزودن (٦) ، هكذا نجد الإسلام في موضوعنا هذا ديناً وحيداً لا ثاني له في تاريخ المذاهب والمشارب ، بأنه لعب دوراً رياديا في تكوين المرأة عالمة من أول يومه ، كي تستطيع أداء مسئوليتها المنشودة في مضمار الحياة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية/٣٤ .

(٢) الحديث قد سبق مراراً ، أخرجه ابن ماجة : ٨١/١ .

(٣) عودة الحجاب ، ص/٢٧٧ .

(٤) كما ذكر ابن الحجر في فتح الباري : ١٩٥/١ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٨/١ .

(٦) راجع : عودة الحجاب : ص/٢٨٣ .

فعن النبي الكريم ﷺ يأخذ العلم النبوي أكثر من سبعمائة امرأة يتتلمذ لهن عدد هائل من الصحابة وفحول العلماء ، يقول السيد محمد بن علوي المالكي الحسني خادم العلم الشريف بالبلد الحرام : ومن عرف الأدب العربي وقرأ تاريخ الإسلام وجد من شهيرات النساء بالعلم والفضل والشعر والتدريس والرواية عدداً لا يحصى بمصر والشام والعراق واليمن والمغرب والأندلس وسائر البلدان الإسلامية (١) .

❁ دور المرأة العالمة :

من هنا بان أن المرأة المسلمة قد أقبلت على العلم منذ أكرمها الله تعالى بالإسلام فنهلت من معينه ، وأخذت منه بسهم وافر ، فأدت دورها العلمي من وراء الحجاب بأروع شكل ، ونالت حظاً كبيراً في بناء الصرح الإسلامي ، ولا يقل دورها من دور الرجل في هذا المجال ، وتاريخ الثقافة الإسلامية يعتز اليوم بأدوارها الرائعة وأعمالها الأنيقة المؤثرة عبر القرون ، مثلاً :

فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما الفقيهة الربانية ، لحق النبي الكريم ﷺ بربه وهي لم تحظ بعد إلى التاسعة عشرة ، على أنها ملأت أرجاء الأرض علماً ، فهي راوية الحديث نسيج وحدها ، ولم يكن بين أصحاب النبي الكريم ﷺ من كان أروى منها ومن أبي هريرة رضي الله عنهما ، على أنها كانت أدق منه وأوثق ، إنها عدت من المكثرين سبعة وأنشد فيهم :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة ، سعد ، جابر ، أنس
صديقة و ابن عباس كذا ابن عمر

عن موسى بن طلحة قال : "ما رأيت أحداً أفصح من عائشة" (٢) ، و قال

---

(١) أدب الإسلام في نظام الأسرة : ص/١٢٨ . (٢) رواه الترمذي : ٢٢٧/٢ .

أبو موسى الأشعري ﷺ : "ما أشكل علينا أصحاب رسول اللّه ﷺ حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً" (١) ، قال الزهري : "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل" (٢) ، وقال عطاء : "كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة" (٣) ، وذكر أبو عمرو بن عبد البر رحمه اللّه : "أنها كانت وحيده عصرها في ثلاثة علوم : علم الفقه ، وعلم الطب ، وعلم الشعر" (٤) .

عن عروة بن الزبير ، قال : "ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي اللّه عنها" (٥) ، وقال مسروق : "رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض" (٦) ، لقد كانت رضي اللّه عنها إحدى المجتهدات من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين ، قال الحاكم أبو عبد اللّه : "فحُمل عنها رُبع الشريعة" (٧) .

وكانت زوجات النبي الكريم ﷺ جميعاً قسيمات عائشة رضي اللّه عنها في إذاعة العلم وإفاضة الدين على المسلمين ، كثيرة تلك الأحاديث التي روتها أمهات المؤمنين عنه ﷺ ، وكثيرة تلك الأقوال المنسوبة إليهن في التفسير وفقه الحديث ، و كثيرات من النساء اللاتي حفظن كتاب اللّه تعالى أو حفظن كثيره ، وحفظن الكثير من أحاديث رسول اللّه ﷺ ، كما بلغت نشاطاتهن إلى الرجال من وراء حجاب ، كما أمر اللّه تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً * فاسألوهن من وراء حجاب ﴾ (٨) .

ولقد وجد على مر القرون نساء تجاوزن علوم فرض العين إلى فروض كفاية ، فكانت منهن المحدثات العظيمات ، والراويات الثقات ، وهذا الإمام محمد بن سعد صاحب "الطبقات" يعقد جزءاً من كتاب "الطبقات الكبرى"

---

(١) رواه الترمذي : ٢٢٧/٢ .
(٢-٣-٤) انظر : عودة الحجاب : ص/٢٨٣ .
(٥-٦) عودة الحجاب : ص/٢٨٣ .
(٧) نفس المصدر : ص/٢٨٥ .
(٨) سورة الأحزاب ، الآية/٥٣ .

لروايات الحديث عن النساء ، أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول اللّه ﷺ أو عن صحابته - رضي اللّه عنهم - ، وروى عنهن أعلام الدين وأئمة المسلمين (١) .

هذا علي بن أبي طالب ﷺ ، الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته ، وقربه من رسول اللّه ﷺ وقرابته ، يتلقى الحديث على مولاة لرسول اللّه ﷺ كانت تقوم على خدمته ، وهي ميمونة بنت سعد (٢) فكيف عن دون علي ﷺ .

لقد تصدت المرأة لفنون العلم وشئون الأدب ، وأمعنت في كل ذلك إمعاناً أعيى على الرجل دركه في مواطن كثيرة ، مثلاً : نبغت منهن شاعرات زخرت دواوينهنّ بروائع الشعر و طرائف الأدب ، و من أشهرهن في هذا المجال :

١- الخنساء : هي تماضر بنت عمرو بن الحارث (٣) .
٢- ليلى بنت عبد اللّه بن الرحّال الأخيلية (٤) .
٣- علية بنت المهدي (٥) .

ومن مزايا المرأة المسلمة العالمة أنها تتحلى بمظهر خلقي كريم في العلم والتعليم ، فقد امتازت "العالمة المسلمة" بالصدق في العلم ، والأمانة في الرواية ، ولنا أن نستمع إلى هذه الشهادة يشهدها واحد من عظماء العلماء ، ألا وهو الحافظ الذهبي [م ٧٤٨هـ] ، وقد ألف كتابه : "ميزان الاعتدال" في نقد رجال الحديث ، خرّج فيه عدة آلاف متّهم من المحدثين ، ثم أتبع قوله بتلك الجملة التي كتبها بخطه الواضع وقلمه العريض ، فقال : "وما علمت من النساء من

(١-٢) عودة الحجاب : ص/٢٨٥ .
(٣) انظر للاستزادة : "أعلام النساء" -لمحمد رضا كحالة : ٣٦٠/١ ، و "الأغاني" - للأصفهاني : ٧٢/١٥ .
(٤) انظر : أعلام النساء : ٣٢١/٤ ، والأغاني : ٢١٠/١١ .
(٥) انظر : أعلام النساء : ٣٣٤/٣ ، والأغاني : ١٩٩/١٠ .

اتّهمت ولا من تركوها" (١) .

ذلكم الحافظ ابن عساكر [م ٥٧١هـ] أوثق رواة الحديث عقدة ، وأصدقهم حديثاً حتى لقبوه بـ "حافظ الأمة" كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء ، فهل سمع الناس في عصر من العصور ، وأمة من الأمم أن عالماً واحداً يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علماً واحداً ؟

فلقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة ، ولعبت دوراً رائعاً في بناء صرح الثقافة الإسلامية ، حتى صرن منهن أستاذات ومدرسات لأساطين هذا الصرح العظيم لمثل الإمام الشافعي ، والإمام البخاري ، وابن خلكان ، وابن حبان (٢) .

فقال باحث "عناية النساء بالحديث النبوي" : ولم يقتصر دور المرأة على تعلم العلم وطلبه ، بل تعداه إلى المشاركة في تعليمه ورواية كتبه وتدريسها على نحو فُقن فيه كثيرًا من فحول الأمم ، يدل على ذلك سجل حافل فخم من أعلام النساء ، يعجز عن استقصائه العصبة أولو القوة ، ولو ذهب باحث يسلسل حلقاته التي احتلته أولاها أمهات المؤمنين ، ومن تتابع منهم من لدن عصر الرسول الكريم ﷺ إلى يومنا هذا ، ما كفاه عمره وإن طال" (٣) .

هكذا قدمت المرأة المسلمة في رحاب العلم ، تقدمت وازدهرت ازدهاراً يتخطى خيال المتخيلين وتصور المتصورين ، كما أنجبت نوابغ وعبقريات عبر القرون وتركت ذكريات خالدة في رحاب العلم والفكر ، وبذكرها يعتز مؤرخو الإسلام ، ويترنم الشعراء ، ويباهي الأدباء بمآثرها الحميدة وحتى الآن يسترسل كلام النبلاء في تنويه المرأة المسلمة في رحاب العلم ، فإليكم بعض

---

(١) ميزان الاعتدال : ٦٠٤/٤ ، برواية عودة الحجاب : ص/٢٨٦ .

(٢) راجع : "عناية النساء بالحديث النبوي" : ص/٢٠ وما بعده ، و "عودة الحجاب" : ص/٢٨٦.

(٣) نفس العناية : ص/٧ .

الكلمات التي تمثلها أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله ، وما أحسن قوله ! حيث ما قال :

هذا رسول الله لم ... ينقص حقوق المؤمنات
العلم كان شريعة ... لنسائه المتفقهات
رضن التجارة والسيا ... سة والشئون الأخريات
و لقد علت ببناته ... لجج العلوم الزاخرات
كانت سكينة تملأ الد ... نيا و تهزأ بالرواة
روت الحديث و فسرت ... آي الكتاب البينات
و حضارة الإسلام تنط ... ـق عن مكان المسلمات
بغداد دار العالما ... ت و منزل المتأدبات
ودمشق تحت أمية ... أم الجواري النابغات
و رياض أندلس غيـ ... ـنَى الهاتفات الشاعرات (١)

۞ صور من سير المسلمات العالمات :

في هذه المناسبة من الكتابة نعرض بعض صور ونماذج من سيرة النساء المسلمات العالمات اللائي اعتززن بالإسلام ، فكان لهن سهم في إعزازه والبذل في سبيله ، وهذه تعطي القراء الكرام فكرة واضحة عن أدوار المرأة المسلمة الريادية في رحاب العلم والتعليم ، والجدير بالذكر أني استفدت كثيراً في هذا الموضوع من كتابي : "القسم الثاني لعودة الحجاب" لمحمد أحمد إسماعيل ، والجزء الأول للانطلاقة العلمية لعبد الله عبد المجيد (٢) بغدادي .

☆ هذه ابنة سعيد بن المسيب ، لما أن دخل بها زوجها ، وكان من أحد طلبة والدها ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج ، فقالت له زوجته : إلى أين تريد ؟ فقال : إلى مجلس سعيد أتعلم العلم ، فقالت له : اجلس أعلمك علم سعيد.

---

(١) الشوقيات : ص/١٠٣-١٠٤ .

(٢) انظر : عودة الحجاب : ٢٨٧ وما بعده ، والانطلاقة العلمية : ١٩/١ وما بعده .

وكان الإمام مالك يقرأ عليه المؤطأ ، فإن لحن القارئ في حرف ، أو زاد أو نقص ، تدق ابنته الباب ، فيقول أبوها للقارئ : "ارجع فالغلط معك" فيرجع القارئ ، فيجد الغلط .

☆ أم الخير "الحجازية" ، تصدرت حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص في القرن الرابع الهجري .

☆ وكانت امرأة الحافظ الهيثمي - وهي بنت شيخه الحافظ العراقي - تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث .

☆ شهدة الكاتبة : تقعد للحديث في القرن السادس وهي صاحبة السماع العالي ، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر ، بُعد صيتها ، وسمع عليها الخلق الكثير .

☆ كريمة بنت محمد حاتم المروزية : سيدة الوزراء ، كانت من راويات صحيح البخاري المعتبرة عند المحدثين ، روت عن زاهر السرخسي ، وكانت نابغة في الفهم والنباهة وحدة الذهن ، رحل إليها أفاضل العلماء .

☆ زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية : ابنة الإمام شرف الدين عبد الله أخي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمهم الله تعالى ، وزوجة الإمام العلامة أبي محمد عبد الوهاب بن سلار ، قال الحافظ ابن حجر : سمعت من الحجار وغيره ، وحدثت ، وأجازت لي ، ومن تلاميذها الإمام الحافظ ناصر الدين الدمشقي الشافعي .

☆ عائشة بنت حمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف ابن محمد قدامة المقدسي : سمعت صحيح البخاري ، وروى عنها الحافظ ابن الحجر ، وقرأ عليها كتباً عديدة ، وانفردت في آخر عمرها بعلم الحديث .

❁ من أشهر المحدثات :

☆ زينب بنت الكمال ومن تلاميذها محمد بن حمزة الحسيني .

☆ زيدة بنت عمر بن المنجي ومن تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكي .

☆ زينب مكي ، وممن سمع عليها أحمد بن بكار النابلسي وعبد الله بن المحب وعمر بن الحبيب ، وكثير من المحدثين .

☆ زينب بنت أبي القاسم : كانت عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم ، وأجازها أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري مؤلف "الكشاف" ، والمؤرخ شهاب الدين بن خلكان ، صاحب "التاريخ المشهور" .

☆ أم سلمى فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله : روت عن أبيها وكتب عنها محمد بن جعفر ، كتاب "الجمل" .

☆ أم عبد الواحد : كانت عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقه على مذهب الشافعي ، وحفظت القرآن الكريم وغير ذلك من العلوم ، وكانت فاضلة بنفسها محدثة .

☆ فاطمة بنت جوهر : ومن تلاميذها الحافظ ابن قيم الجوزية .

☆ ست القضاة بنت الشيرازي : تتلمذ عليها الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي ، والقاضي الإمام أحمد بن فضل الله العمري .

☆ زبيدة زوجة هارون الرشيد : كانت عالمة فقيهة .

☆ وقاية : امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولون : "تعالوا بنا نستشر وقاية ، فعصابتها خير من عمائمنا" .

☆ وقد شهد الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله مجالس حافلة قرأ فيها على بعض المحدثات الحافظات الفقيهات ، فتراه يختم كتابه "بغية الوعاة" بمسلسلات ، قرأ منها على الأصيلة الثقة الخيرة الفاضلة أم هانئ بنت الحسن المورش وعلى هاجر بنت محمد المصرية ، وأخبرت الشيختان المسندتان أم هانئ وأم الفضل بنت محمد المقدسي ، وقرأ على الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني ، وأخبرته كمالية بنت محمد بن أبي بكر الجرجاني ، وأنبأته أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي ، وأخبرته أمة العزيز بنت محمد الأمباسي ، وفاطمة بنت علي بن اليسير مشافهة بالفسطاط ، وخديجة بنت الحسن بن الملقن ...

☆ قال الشيخ عطية محمد سالم : قد رأيت بنفسي وأنا مدرس بالأحساء نسخة لسنن أبي داؤد عند آل المبارك وعليها تعليق لأخت صلاح الدين الأيوبي .

☆ و ذكر صاحب التراتيب الإدارية ، قوله : سمعنا و نحن في مدينة "أطار" ،

وهي على مقربة من مدينة "شبخط" المذكورة (أي شنقيط من الصحراء الإفريقية) سمعنا من كبار أهلها أنه كان يوجد بها سابقاً مائنا فتاة يحفظن المدونة كاملة ، وقد سمعت في الآونة الأخيرة أنه توجد امرأة تدرس في المسجد النبوي الحديث والسيرة ، واللغة العربية ، وهي شنقيطية .

☆ وذكر من النسوة اللاتي تخرجن في العلوم الدينية : السيدة الشريفة فاطمة الزهراء ابنة السيد محمد بن أحمد الإدريسي ، تحفظ القرآن الكريم بقراءته ، وتحفظ كثيراً من كتبُ الفقه والحديث ، ولها فوق ذلك صلة وثيقة بالعلوم العصرية ، ولم تبارح دار أبيها قط ، وتخرجت على أبيها وجدها .

هذا غيض من فيض ، لروائع رحاب العلم ، والتعلم والتعليم ، الذي تخرجت فيه المرأة المسلمة ، وخلدت وراءها ذكريات لامعة ، ومآثر ساطعة ، ولم تزل ولا تزال تستمر نشاطاتها العلمية التي تأتي بالأعاجيب والنوادر وتنجب عبقريات في رحاب العلم عبر القرون والتاريخ ، هل لها نظير في أمة من الأمم قديمها وحديثها ؟ ولا ريب في أنها حكمة اللّه عزّوجل ، ملأ بها أحناء تلك الصدور : ﴿ ومن يؤت الحكمة * فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة/٢٦٩] .

ولله در من قال :

فلو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... و ما التذكير فخر للهلال

❁ التنبيهات والحدود الملحوظة في التعليم النسوي :

مما ينبغي أن يعلم أن التعلم والتعليم في حق المرأة المسلمة يكون غير ما راج في حق الرجل شرعاً ، بالنسبة إلى الشريعة إذا كانت المرأة صبية فلها إجازة عامة في طلب العلم مثل الصبيان ، لكنها إذا كانت بالغة أو مشتهاة ، فيجب عليها أن ترعى الأمور الشرعية والحدود الملحوظة فيها من الحجاب وستر العورة الشرعية وعدم الاختلاط والتبرج وغيرها .

ولا شك في أن المكانة العلمية الرفيعة التي حازتها المرأة المسلمة في رحاب العلم وغيره عبر التاريخ ، هي ضمن ضوابط شرعية محددة ، تهيئ لها

المناخ الصالح الذي تأمن فيه الاختلاط بالرجال ، وحضور مجالسهم ، فكانت تؤدي وظيفة العلم من وراء الحجاب ، كما سبقت بالذكر .

فلذا كان أعضاء الموسوعة الفقهية الشهيرة كتبوا بعد سرد الشواهد الشرعية الإجابية في تعليم المرأة : "وإذن فلا خلاف في مشروعية تعليم الأنثى ، لكن في الحدود التي لا مخالفة فيها للشرع وذلك من النواحي الآتية :

أ- أن تحذر الاختلاط بالشباب في قاعات الدرس ، فلا تجلس المرأة بجانب الرجل ، فقد جعل النبي الكريم ﷺ للنساء يوماً غير يوم الرجال يعظهن فيه ، بل حتى في العبادة ، لا يخالطن الرجال ، بل يكن في ناحية منهم ، يستمعن إلى الوعظ ، ويؤدين الصلاة ، ولا يجب استحداث مكان خاص لصلاتهن ، أو إقامة حاجز بين صفوفهن وصفوف الرجال .

ب- أن تكون محتشمة غير متبرجة بزينتها لقول اللّه تعالى : ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾ (١) ، وفي اتباع ذلك ما يمنع من الفتنة وإشاعة الفساد (٢) .

ومن هنا اسمحو لي أن أضم صوتي مع الباحثين المسلمين في وصف العالمات المسلمات وسيرهن ومآثرهن العلمية : فلا نجعل في حل من يستدل بهذه النماذج الطيبة من "العالمات المسلمات" على "استحلال" ما عليه مجتمعاتنا اليوم من اختلاط فاضح وتهتك مزر ، وتبرج مشين ، فهذا لا يمكن أن يقره دين ولا عقل ، لتعارضه مع نصوص الشريعة الصريحة ... ولكن تلك النماذج المشرقة ، دليل واضح على موقف الإسلام من حق المرأة في التعلم والتعليم ، بشرط أن يتم ذلك في حدود ما أحلّ اللّه ، وعلى أن تراعي طبيعتها وما يناسبها من أنواع العلوم و على أن تصان مما يخدش عقيدتها و آدابها الإسلامية (٣) .

☆☆☆

---

(١) سورة النور ، الآية/٣١ .

(٢) انظر : الموسوعة الفقهية : ٧٨/٧ .

(٣) راجع : عودة الحجاب : ص/٢٩٤ .

الفقه الإسلامي :

المصلحة بين الافراط والتفريط

(٢) بقلم : الأستاذ عتيق أحمد القاسمي
أستاذ كلية الشريعة وأصول الدين ، جامعة دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

۞ نظرية تنزيل الحاجة العامة منزلة الضرورة :

قبل أن ننهى بحث المصالح المرسلة وحجيتها لابد من التنبيه إلى أمر هام ، هو أن أحكام حالة الاضطرار تختلف في الإسلام كثيراً عن أحكام حالة الاختيار ، فكم من أحكام حالة الاختيار تزتفع وتنزل مقامها أحكام حالة الاضطرار ، وهذا التغير في الأحكام للضرورة أو الحاجة العامة الملحة يعم أبواب الفقه كلها من عبادات ومعاملات ومناكحات وحدود وتعازير ، إن أحكام حالة الاضطرار والحاجة الأصولية مبسوطة في كتب أصول الفقه في مبحث الرخصة والعزيمة ، وقد ألف بعض الكتاب المعاصرين كتباً وأبحاثاً حول نظرية الضرورة في الشريعة الإسلامية .

نظرية الضرورة في الشريعة الإسلامية مبنيّة على آيات الاضطرار والإكراه ونفي الحرج والعسر ، وعلى أحاديث نبوية كثيرة في هذا المعنى كما لا يخفى على من له أدنى إلمام بالفقه الإسلامي .

والجدير بالذكر أن نظريتي الضرورة والمصلحة متشابكتان في الشريعة لا يمكن فصلهما وإقامة الحد الفاصل بينهما تماماً لأن كثيراً من مسائل المصلحة الضرورية والمصلحة الحاجية داخلة في مسائل الضرورة وطائفة من الفقهاء والأصوليين نزّلت الحاجة العامة الملحة منزلة الضرورة في بناء الأحكام الاستثنائية عليها إلى أن تزول الحاجة العامة ، لعل أول من أسس هذه النظرية - نظرية تنزيل الحاجة العامة الملحة منزلة الضرورة - إمام الحرمين عبد الملك الجويني [٤٧٨هـ] في كتابه غياث الأمم في التياث الظلم ، المعروف

بالغياثي ، ثم تبعه كثير من الأصوليين أمثال الغزالي وعز الدين بن عبد السلام والشاطبي ، ننقل بعض عباراتهم كي تتجلى هذه النظرية التي لها ارتباط وثيق بنظرية المصلحة .

يقول إمام الحرمين الجويني في الغياثي : "إنه قد يظن ظان أن حكم الإمام إذا عمهم الحرام حكم المضطر في تعاطي الميتة ، وليس الأمر كذلك فإن الناس لو ارتقبوا فيما يطعمون أن ينتهوا إلى حالة الضرورة ، وفي الانتهاء إليها سقوط القوى وانتكاث المرر وانتقاض البينة ، سيما إذا تكرر اعتياد المصير إلى هذه الغاية ففي ذلك انقطاع المحترفين عن حرفهم وصناعاتهم وفيه الإفضاء إلى ارتفاع الزرع والحراثة وطرائق الاكتساب وإصلاح المعايش التي بها قوام الخلق قاطبة وقصاراه هلاك الناس أجمعين ، ومنهم ذو النجدة والبأس وحفظة الثغور من جنود المسلمين ، وإذا وهو أو وهنوا وضعفوا واستكانوا استجرأ الكفار وتخللوا ديار الإسلام وانقطع السلك وتبتّر النظام [٤٧٧-٤٧٨] .

ونحن على اضطرار من عقولنا نعلم أن الشرع لم يرد بما يؤدي إلى بوار أهل الدنيا ثم يتبعها اندراس الدين ففي اشتراط ذلك ما يجر فساداً في الأمور الكلية ...

فالقول المجمل في ذلك إلى أن نفصله أن الحرام إذا طبق الزمان وأهله ولم يجدوا إلى طلب الحلال سبيلاً فلهم أن يأخذوا منه قدر الحاجة ولا تشترط الضرورة التي نرعاها في إحلال الميتة في حقوق آحاد الناس بل الحاجة في حق الناس كافة تنزل منزلة الضرورة في حق الواحد المضطر ، فإن الواحد المضطر لو صابر ضرورته ولم يتعاط الميتة لهلك ولو صابر الناس حاجاتهم وتعدوها إلى الضرورة لهلك الناس قاطبة ففي تعدى الكافة الحاجة من خوف الهلاك ما في تعدى الضرورة في حق الآحاد [٤٧٨-٤٧٩] .

ثم يحدد إمام الحرمين الحاجة العامة التي تحل محل الضرورة بالنفي والإثبات ، ثم يقول : لسنا نعني بالحاجة تشوف الناس إلى الطعام وتشوقهم إليه ، فرب مشتهٍ لشئ لا يضره الانكفاف عنه فلا معتبر بالتشهي فالمرعي إذا

دفع الضرار واستمرار الناس على ما يقيم قواهم ، و ربما يُستبان الشئ بذكر نقيضه .. : [ص/٤٨٠] .

ومما نقطعه أن الانكفاف عن الطعام قد لا يستعقب ضعفاً و وهناً حاجزاً عن التقلب في الحال لكنه إذا تكرر الصبر على ذلك الحد من الجوع أورث ضعفاً فلا نكلف هذا النوع من الامتناع .

ويتحصل من مجموع ما نفينا وأثبتنا أن الناس يأخذون ما لو تركوه لتضرروا في الحال أو في المآل والضرار الذي ذكرناه في إدراج الكلام عنينا به ما يتوقع منه فساد البينة أو ضعف يصد عن التصرف والتقلب في أمور المعاش : [ص/٤٨١] الأقوات بجملها مندرجة تحت الضبط المقدم .. أما الأدوية والعقاقير التي تستعمل فمنع استعمالها مع مسيس الحاجة إليها يجرّ ضراراً و قد سبق القول في ذلك : [ص/٤٨٢] ، فأما الملابس فإنها تنقسم قسمين : أحدهما مما في استعماله درأ الضرار فسبيل إباحته كسبيل الأطعمة ، والقسم الثاني ما لا يبدو ضراراً لكن يتعلق لبسه بستر ما يجب ستره أو برعاية المروءة .

فأما ستر العورة فهو ملتحق بما يدفع استعماله الضرار من المطاعم والملابس ، فإن تكليف الناس التعري عظيم الوقع وهو أوقع في النفوس من ضرر الجوع والضعف و وضوح هذا يغنى عن الاطناب : [ص/٤٨٣] .

فأما المساكن فإني أرى مسكن الرجل من أظهر ما تمس إليه حاجته ، والكنّ الذي يؤديه وعيلته وذريته مما لا غناء به عنه (١) : [ص/٤٨٦] .

نقلت قسطاً كبيراً من عبارة إمام الحرمين كي تتضح جوانب نظريته تماماً بكلماته ، هذه النظرية - تنزيل الحاجة العامة منزلة الضرورة - أخذ بها تلميذ إمام الحرمين الجويني الإمام الغزالي وأوضحها وبسطها في كتبه : "إحياء

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم المعروف بالغياثي -لإمام الحرمين الجويني : ص/٤٧٦-٤٧٧ ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

علوم الدين" (١) ، "شفاء الغليل" (٢) ، و "المستصفى" (٣) ذكر الغزالي هذه النظرية في كتبه الأصولية في مبحث الاستصلاح أو المصالح المرسلة ، لا حاجة بنا إلى نقلها وإعادتها لأنها نفس نظرية الجويني لكن لابد من الإشارة إلى أن عبارات الإمام الغزالي مضطربة في هذا الباب فإن عبارته في المستصفى تدل على أنه لا اعتبار إلا بالمصلحة الضرورية ، أما المصلحة الحاجية فلا يجوز بناء الأحكام عليها ، وعباراته في الإحياء وشفاء الغليل صريحة في أن المصلحة الحاجية أيضاً معتبرة يجوز بناء الأحكام عليها ، وحاول الدكتور البوطي - حفظه الله - التطبيق بين هذه العبارات في ضوء رأى المحقق السبكي ، وقال : ولكن المحقق السبكي رحمه الله أخذ من مجموع ما قاله بها اتفاقاً دون خلاف وبيان أن ما لم تتوفر فيه هذه الشروط فهو محل الخلاف والبحث ، قال في جمع الجوامع : "ليس منه - أي من المناسب المرسل - مصلحة ضرورية كلية واشترطها الغزالي للقطع بالقول به ، لا لأصل القول به" .. وهذا الفهم أقرب ما يمكن أن يتلاءم مع كلام الغزالي ، وإلا فإنه لا مفر من التناقض الواضح فيه كما ذكرنا (٤) .

تبعهما - أي الإمام الحرمين والغزالي - في هذه النظرية شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام في كتابه : "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" حيث يقول : "لو عم الحرام الأرض بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو إليه الحاجة ، ولا يقف تحليل ذلك على الضرورات لأنه لو وقف عليها لادي إلى ضعف البلاد واستيلاء أهل الكفر والعناد على بلاد الإسلام ولا نقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التي تقوم بمصالح الأنام ، قال

---

(١) إحياء علوم الدين -للغزالي : ج/٢ ، ص/٩٦-٩٨ .

(٢) شفاء الغليل -للغزالي : ص/٢٤٥-٢٤٦ .

(٣) المستصفى -للغزالي : ج/١ .

(٤) ضوابط المصلحة -للبوطي : ص/٣٩٤ .

الإمام رحمه الله : ولا يتبسط في هذه الأموال كما يبتبسط في المال الحلال بل يقتصر على ما تمس إليه الحاجة دون أكل الطيبات وشرب المستلذات ، ولبس الناعمات التي بمنزلة التتمات ... ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وإن هذه المفسدة لا يجوز قربانها ، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك (١) .

ثم جاء الإمام الشاطبي وأخذ بهذه النظرية في كتابيه الاعتصام والموافقات فيقول في الاعتصام : "المثال السابع" إنه لو طبق الحرام الأرض أو ناحية من الأرض يعسر الانتقال منها ، وانسدت طرق المكاسب الطيبة ومست الحاجة إلى الزيادة على سد الرمق فإن ذلك سائغ أن يزيد على قدر الضرورة ويرتقى على قدر الحاجة في القوت والملبس والمسكن ، إذا لو اقتصر على سد الرمق لتعطلت المكاسب والأشغال ، ولم يزل الناس في مقاساة ذلك إلى أن يهلكوا ، وفي ذلك خراب الدين لكنه لا ينتهي إلى الترفة والتنعم كما لا يقتصر على مقدار الضرورة ، وهذا ملائم لتصرفات الشرع وإن لم ينص على عينه فقد أجاز أكل الميتة للمضطر والدم ولحم الخنزير وغير ذلك من الخبائث المحرمات .

وحكى ابن العربي الاتفاق على جواز الشبع عن توالي المخمصة ، وإنما اختلفوا إذا لم تتوال هل يجوز له الشبع أم لا ؟ وأيضاً أجازوا أخذ مال الغير عند الضرورة أيضاً فما نحن فيه لا يقتصر عن ذلك (٢) ..

إنما ذكرنا نظرية : "تنزيل الحاجة العامة الملحة مقام الضرورة" بقدر من التفصيل لأن هذه النظرية لها ارتباط قوى بنظرية المصلحة ولأن هذه النظرية تفرعت منها مسائل كثيرة في الفقه الإسلامي .

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ج/٢ ، ص/١٥٩-١٦٠ .

(٢) كتاب الاعتصام -للشاطبي : ج/٢ ، ص/١٢٥ .

إن العصر الراهن يشهد اتساع دائرة الحاجات الجماعية التي تكاد تصل إلى درجة "الضرورة" و "الاضطرار" أصبحت الحكومات والأنظمة - على النمط غير المعروف في الماضي - تتدخل في جميع شئون الحياة ، وتتبنى قوانين ، وتعمل تخطيطات عن جميع مجالات ومناحي الحياة - وتتسم هذه الحكومات بطابع لا ديني ومخالف للإسلام ، حتى في البلدان الإسلامية فإن القوى المعادية للإسلام هي التي تملك زمام السلطة في أغلبها ، وإن كان هناك بلد يملك الإسلاميون عنان السلطة فيها فإنهم مدفوعون دفعاً بضغوط القوى العالمية إلى اتخاذ قوانين وتخطيطات مخالفة للإسلام ، فأسفر هذا الوضع عن تولّد حاجات جماعية كثيرة في شتى ميادين الحياة ، مما لا يمكن غض البصر عنها نظراً لما يجر إلغاء اعتبار هذه الحاجات على المجتمع المسلم من أنواع الحرج والمشاكل المعقدة ، ولما يؤدي إليه من إقصاء المسلمين عن عدد من مجالات النشاط ، وتفويت فرص كثيرة للكسب من الصنعة والحرفة والوظائف والتجارة .

بينما لا نستطيع توزيع صك الجواز لكل ما يتسمى بـ "الحاجات الجماعية" لأن الحاجات الجماعية على مراتب ، تختلف في اتساعها ومدى لزومها واضطرارها ، لذا فإنه من اللازم قبل الحكم على هذه الحاجات أن تدرس دراسة واعية ، وينظر بعمق في ملابساتها ، وقد نحتاج إلى مساعدة خبراء القانون ، والإخصائيين في المجالات التي تتعلق بها هذه الحاجات فنضطر في دراسة هذه الحاجات إلى الاستعانة بخبراء القانون والعلوم الاجتماعية ، وبالمؤسسات والمنظمات التي تعمل دراسات للميول الاجتماعية واتجاهات العوام ، لكي نتمكن من تحديد درجات الحاجات الجماعية ، وما هي دائرتها ؟ وما مدى اضطرارها والاحتياج إليها ؟ وماذا سيترتب على الإعراض عنها وعدم الاعتبار بها من نتائج مباشرة فورية أو في المستقبل ، وهل لها بديل مشروع صاف عن الشوائب ؟

وبعد استجماع كل المعلومات اللازمة عن الحاجات الجماعية من أصحاب الخبرات والاختصاصات المختلفة ، يأتي دور العلماء الفقهاء أصحاب البصيرة النافذة وذوى الاطلاع على مقاصد الشريعة وأحكامها ، لينظروا إلى هذه الحاجات من خلال هذه المعلومات والدراسات الموجودة ، ليقرروا أن أي هذه الحاجات الجماعية قد بلغت من اتساعها وشمولها ، والاضطرار إليها مبلغاً جعل ترك الناس إياها شبه المستحيل وأن تركها سيؤل بالمجتمع إلى حرج كبير وضيق خانق ، وبالتالي يحكم عليها في الوضع الموجود بالجواز .

ويقرروا كذلك أن أي هذه الحاجات لم تبلغ هذه الدرجة ، ويتوفر بديلها الشرعي بسهولة ، فلا يؤدي تركها إلى حرج شديد ، وأن أي الحاجات سميت حاجات من غير ما مبرر وتوفر شروط الحاجة فيها ، بينما كانت في أصل واقعها من جملة الكماليات أو الفضوليات ، فلا معتبر بها ، إن الحكم في مثل هذه القضايا يحتاج إلى بصيرة فقهية نفاذة ومعرفة عميقة بأحوال وعادات الناس .

لكن هذه النظرية سلاح ذو حدين ، لو استعملها واستخدمها المتجددون أو المتغربون أو الجاهلون لهدموا الدين من أساسه ، وقد كثر في هذا القرن محاولة هدم الدين في ستار مصطلحاته مثل : "الاجتهاد" و "التجديد" و "الضرورة" و "الحاجة" و "الاستصلاح" و "روح الشريعة" و "مقاصد الشريعة" فصارت المصطلحات الإسلامية ألعوبة في أيدي العابثين بالشريعة الإسلامية .

فيجب على العلماء التوسط والتيقظ في هذه القضية لأنهم حرّاس الشريعة الإسلامية والذابّون عن بيضتها .

والجدير بالذكر أن نظرية المصلحة ونظرية تنزيل الحاجة العامة مقام الضرورة ، كثير من مسائلهما متفرعة عن أصل رفع الحرج في الشريعة الإسلامية ، ورفع الحرج من أهم القواعد في الشريعة المبنية على الآيات

والأحاديث الكثيرة كما لا يخفى على الدارس للفقه الإسلامي ، وكثير من الفقهاء رخصوا في تخصيص النصوص العامة بالحرج العام والبلوى العامة .

قد ذكر الحافظ ابن تيمية رحمه الله معاملة مروجة في عصره ، وقال : ومما تمس الحاجة إليه من فروع هذه القاعدة ومن مسائل بيع الثمر قبل بدو صلاحه ما قد عمت به البلوي في كثير من بلاد الإسلام أو أكثرها لا سيما دمشق وذلك أن الأرض تكون مشتملة على غراس وأرض تصلح للزرع ، وربما اشتملت مع ذلك على مساكن فيريد صاحبها أن يواجرها لمن يسقيها أو يزرعها أو يسكنها مع ذلك فهنا إذا كان فيها أرض وغراس مما اختلف الفقهاء فيه على ثلاثة أقوال ، ثم ذكر الحافظ ابن تيمية الأقوال الثلاثة مع أدلتها وذكر الحيل التي اخترعها الذين يمنعونها لتجويزها ، ثم قال : والذين لا يحتالون أو يحتالون وقد ظهر لهم فساد هذه الحيلة بين أمرين إما أن يفعلوا ذلك للحاجة ، ويعتقدوا أنهم فاعلون للمحرم كما رأينا عليه أكثر الناس ، وإما أن يتركوا تناول الثمار الداخلة في هذه المعاملة فيدخل عليهم من الضرر والضرار ما لا يعلمه إلا الله ، وإن أمكن أن يلتزم ذلك واحد أو اثنان فما يمكن للمسلمين التزام ذلك إلا بفساد الأموال الذي لا تأتي به شريعة فضلاً عن شريعة ، قال الله فيها (٧٨/٢٢) : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ ، وقال تعالى (٢/١٨٥) : ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ وفي الصحيحين : "إنما بعثتم ميسرين" ، و "يسروا ولا تعسروا" ، و "ليعلم اليهود أن في دينكم وسعاً" فكل ما لا يتم المعاش إلا به فتحريمه حرج وهو منتف شرعاً (١) .

[للبحث صلة]

---

(١) القواعد النورانية -للحافظ ابن تيمية : ص/١٦٤-١٦٥ .

حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته

[٤/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد زاهد
الجامعة الإسلامية الإمدادية ، فيصل آباد - باكستان

❁ ٤- ثبوت الحرمة الصهرية بالقبلة أو المس أو النظر في المحل الحرام :

إذا كان الزنا لا يحرم الأصول والفروع عند الشافعية والمالكية فمقدماته أولى أن لا تثبت به الحرمة ، أما الحنابلة فذكروا في المسألة روايتين : الأولى أنه لا تنشر به الحرمة ، وهي أصح الروايتين عن أحمد صححها المرداوي ، وكثيرون آخرون (١١٢) ، والرواية الثانية أن هذه الأمور تثبت حرمة المصاهرة إذا كانت عن شهوة (١١٣) وذهب الحنفية إلى أن المس والتقبيل والنظر إلى الفرج الداخل أو نظرها إلى ذكره عن شهوة يوجب الحرمة ، وتكفي الشهوة من جانب واحد سواء أكان من الرجل أو المرأة ولا فرق عندهم في ذلك بين العمد والخطأ والنسيان ، والأصل الذي ذكره متأخرو الحنفية هو أن المحرم هو الوطء المفضي إلى الولد أو المس الذي يكون سبباً لهذا الوطء (١١٤) .

☆ أدلة الحنفية :

١- حديث أبي هانئ الذي مر ذكره في المسألة الماضية ولفظه : قال رسول الله ﷺ : "من نظر إلى فرج امرأة لم يحل له أمها ولا بنتها" لكن ذكرنا أن الحديث لا يصلح للاحتجاج به ولا أن يخص به ، قوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ على أن الحديث يحتمل أن يراد فيه بالنظر إلى الفرج الجماع لأن الجماع من الأمور التي تكثر الإشارة إليها والكناية عنها ، فتذكر المضاجعة ويراد بها الجماع ، كما روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير في تفسير ، قوله تعالى : ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ (١١٥) ، "لا يجامعها" (١١٦) ، وذكر ابن

جرير الطبري عن سعيد بن جبير في تفسير ، قوله تعالى : ﴿ أولا مستم النساء ﴾ ، قال : ذكروا اللمس ، وقال ناس من الموالي : ليس بالجماع ، وقال ناس من العرب : اللمس الجماع ، فأتيت ابن عباس فقال : إن ناساً من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس ، فقالت الموالي : ليس بالجماع ، وقالت العرب : الجماع ، قال : من أي الفريقين كنت ، قلت : كنت من الموالي ، قال : غلب فريق الموالي ، إن المس واللمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء ، وفي رواية عن ابن عباس ، قال : هو الجماع ولكن الله يعف ويكني (١١٧) فاحتمال إرادة الجماع بالنظر إلى الفرج ليس ببعيد ، وقد ذكر هذا الاحتمال ابن قدامة في أثر ابن مسعود الآتي (١١٨) .

٢- استدل العلامة ظفر أحمد العثماني - رحمه الله - لمذهب الحنفية بما رواه ابن سحنون في المدونة عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن جريج يرفع الحديث إلى النبي الكريم ﷺ في الذي يتزوج المرأة فيغمزها ولا يزيد على ذلك : لا يتزوج ابنتها (١١٩) لكن الحديث في المرأة المعقود عليها كما يدل عليه قوله : "في الذي يتزوج المرأة" فلا علاقة للحديث باللمس والتقبيل والنظر في المحل الحرام وكذلك الآثار التي ذكرها سحنون بعد هذا الحديث ، كقول ابن مسعود : "إذا قبلها فلا تحل له الابنة أبداً" (١٢٠) فإن تخصيص الابنة بالذكر على أن المقصود هنا بيان حكم الزوجة ، فإنها هي التي تفرق فيها بين الأم والبنت ، فالأم تحرم بنفس العقد وتحريم البنت يتوقف على الدخول أو ما يقوم مقامه من اللمس وغيره ، وكذلك معظم الآثار التي استدل بها القائلون بالتحريم بالتقبيل والمس وغيرهما في المحل الحرام لا علاقة لها بالمسألة ، وإنما هي في المنكوحة أو الأمة ، أو على الأقل لا تنصيص فيها على كون المس وما شاكله في الأجنبية بل القرائن تدل على خلاف ذلك ، كما في أثر ابن مسعود الماضي آنفاً ، وكذا قول ابن مسعود : "لا ينظر الله إلى رجل نظر إلى فرج امرأة وابنتها" ، فإنه يحتمل أولاً : أن يكون المراد به الوطء فقط ، كما يدل عليه الاقتصار على ذكر البنت ، وثانياً : يحتمل أن يكون المراد به المحل الحلال

فقط ، وسياق الكلام يقوّي هذا الاحتمال فإنه وعيد على الجمع بين النظرين لا على النظر إلى فرج امرأة دون النظر إلى فرج بنتها .

واستدل أبو بكر الجصاص بهذه الآثار بإضافة الإجماع إليها فقال : "فكل من حرم بالوطء الحرام أوجبه باللمس إذا كان بشهوة ، ومن لم يوجبه بالوطء الحرام لم يوجبه باللمس بشهوة ، ولا خلاف في أن اللمس المباح في الزوجة وملك اليمين يوجب تحريم الأم والبنت إلا شيئاً يحكى عن ابن شبرمة أنه قال : لا تحرم باللمس وإنما تحرم بالوطء الذي يوجب مثله الحد ، وهو قول شاذ قد سبقه الإجماع بخلافه" (١٢١) .

ولكن دعوى العموم في قوله : "فكل من حرم بالوطء الحرام .. إلخ" منقوضة بما ذكرنا من مذهب الحنابلة ، فإن الوطء الحرام ينشر الحرمة ولا ينشرها المس والتقبيل والنظر بشهوة في الصحيح عندهم ، وكذلك فرّق بين الوطء الحرام وبين اللمس وغيره أبو هريرة فيما ذكره عنه البخاري في صحيحه : "لا تحرم عليه حتى يلزق بالأرض يعني حتى يجامع" (١٢٢) ، وكذلك فرّق بين الوطء ودواعيه ابن شبرمة كما ذكره الجصاص .

وأجاب بعض الحنفية عن أثر أبي هريرة قائلاً : "إن التفسير بقوله : (يعني حتى يجامع) لم يدر قائله أنه أبو هريرة أو غيره ، وإذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال ، فإن قول التابعي لا حجة فيه ، والإلزاق بالأرض يحتمل الجماع والمباشرة واللمس والنظر إلى الفرج الداخل جميعاً ، فتخصيصه بالجماع دعوى بلا بينة" (١٢٣) .

ولا يخفى ما في هذا الكلام من البعد والضعف ، فإنه على تقدير إرادة المباشرة واللمس والنظر يكون معنى قول أبي هريرة أن اللمس والنظر إلى فرجها الداخل يحرّمان إذا صدرا ، وهي ملزقة بالأرض وأما إذا نظر إليها أو مسها وهي جالسة أو قائمة فلا تثبت الحرمة ولا شك أنه لا قائل بهذا .

وكذلك يتضح عدم صحة ما قاله الجصاص : "ولا خلاف في أن اللمس المباح في الزوجة وملك اليمين يوجب تحريم الأم والبنت" بما ذكرناه في

المسألة الأولى والثانية ، فثبوت الحرمة باللمس ونحوه في المنكوحة والمملوكة لم يزل مختلفاً فيه منذ عصر الصحابة واختلفت في المسألتين أقوال الأئمة الأربعة أيضاً :

❁ أدلة الشافعية والمالكية والحنابلة :

استدلت الشافعية والمالكية في هذه المسألة بما استدلوا به على عدم ثبوت الحرمة بالزنا ، فإذا كان الوطء الحرام لا يوجب الحرمة الصهرية فاللمس الحرام ونحوه أولى أن لا تثبت به هذه الحرمة ، أما الحنابلة فاستدلوا بما ذكرناه في مسألة عدم حرمة البنت بلمس الزوجة وكذا عدم ثبوت الحرمة باللمس ونحوه ، بملك يمين ، من أن الحرمة لا تثبت إلا بنص أو قياس ، ولا نص هنا ، ولا يصح قياس اللمس ونحوه على الوطء ، فإن الوطء يتعلق به من الأحكام ما لا يتعلق باللمس من استقرار المهر والإحصان والاغتسال والعدة وإفساد الإحرام والهيام (١٢٤) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ يدل على عدم إيجاب اللمس الحرام ونحوه الحرمة الصهرية لأنه لم يوجد دليل للتحريم يصلح مخصصاً لعموم الكتاب فحديث أبي هانئ ضعيف ، ومحتمل لمعنى الوطء ومرسل ابن جريج صريح في الزوجة فلا يدل على حكم الأجنبية ، أما آثار الصحابة فهي غير صريحة في كون اللمس ونحوه في المحل الحرام بل هي إما صريحة في المنكوحة أو المملوكة أو تشتمل على قرائن تؤيد إرادة المنكوحة أو المملوكة ، وأيضاً هي معارضة بما روي عن أبي هريرة أنه قال : لا تحرم حتى يلزق بالأرض ، وما روي عن ابن عباس من عدم حرمة الربيبة بما دون الجماع (١٢٥) فإنها أصرح مما ذكره الحنفية من آثار الصحابة ، وبهذا يظهر أن مذهب الحنفية في مسألة القبلة ونحوها أضعف منه في مسألة الوطء الحرام ، وليس هناك داع إلى اختيار هذا القول إلا الاحتياط ولعل الحنفية أيضاً لم يذهبوا إلى إثبات الحرمة نظراً إلى قوة الدليل بل اختاروه لمجرد الاحتياط في الفروج ، فيقول الكاساني :

"فكان الاحتياط هو القول بالحرمة" (١٢٦) .

ويقول أيضاً : "فيجب القول بالحرمة احتياطاً" (١٢٧) .

ومما يدل على أن الحنفية اختاروا القول بالتحريم لمجرد الاحتياط ما ذكره بعض الحنفية من أنه لا يجوز الخلوة بأم المزنية وبنتها ، وإن كانتا تحرمان عليه مؤبدا في حين جازت له الخلوة بأم المنكوحة لأن حرمة النكاح بأم المزنية إنما هي للاحتياط والاحتياط هنا في حرمة الخلوة (١٢٨) .

❁ المسألة في ضوء قواعد الشريعة العامة :

لقد جرت عادة الفقهاء أنهم يلجأون إلى قواعد عامة للشريعة عند تعارض الأدلة ، فيأخذون ما يرون أنه أوفق بالقواعد ، فينبغي للتوصل إلى ما هو الراجح في هذه المسألة ، النظر فيها على ضوء هذه القواعد والأصول .

فقاعدة : "إذ اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام" (١٢٩) أو قاعدة ترجيح دليل الحرمة عند تعارض المبيح والمحرم تقتضي اختيار ما ذهب إليه الحنفية ولكن قاعدة نفي الحرج وإزالة الضرر وجلب المشقة التيسير ومراعاة المصلحة واقتضاء عموم البلوي التخفيف ، هذه كلها ترجح جانب الحلة وإليك بيانها بشئ من التفصيل :

١- إن الفرقة بين الزوجين تسبب لهما متاعب ومصائب كثيرة تجعل حياتهما المتبقية مريرة ، خاصة إذا أنجبا أولاداً ، وهذه الفرقة تكون أمرً وأشق عليهما من الفرقة بالطلاق والخلع ، فإنه يسبقهما خلاف ونزاع بينهما يجعلانهما شبه مستعدين للفرقة ، أما في مسألتنا فربما يعيشان حياة سعيدة بمحبة ومودة ، لا يتصوران الفرقة بينهما ، فيفاجئان بفرقة مؤبدة أغلظ من الطلاق ، لا رجوع فيها ولا نكاح من جديد ، ولا تحل له أبداً حتى و لو نكحت زوجاً غيره ، وذلك بفعل غير متعمد أحياناً مثل أن يمس أم امرأته بشهوة على ظن أنها زوجته ، بل بفعل إنسان آخر غيرهما أحياناً أخرى ، مثل أن يمس الرجل حليلة ابنه بشهوة أو أن يزنى بها - والعياذ بالله - .

ثم في أوضاع شبه القارة ما تجنيه المرأة من ثمار هذه التجربة القاسية

المرة أكثر بكثير مما يجنيه الرجل لعادات وتقاليد خاصة بهذه البلاد ، فالبحث عن زوج آخر للمرأة أمر صعب جداً بل شبه مستحيل ، وتكون الوحدة أو كونها كلا على أبيها أو إخوتها حظّها من الحياة ، ولا يدرك مدى شدة أحوالها إلا من اصطلى بنارها أو ذاق مرارتها .

ولا تقتصر آثار هذه الفرقة السيئة على الزوجين بل تنعكس على الأولاد بشكل أكثر قسوة ؛ فتعرضهم للضياع دينياً واقتصادياً وبدنياً ونفسياً وتعليمياً ، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه تكاليف الحياة و غلا فيها كل شئ .

٢- ثم إن الفرقة بين الزوجين لا تؤدي إلى مصائب دنيوية فحسب ، بل تحمل في طياتها مفاسد دينية كثيرة تدل عليها الأحاديث الواردة في كراهة الطلاق والتفريق بين الزوجين ، منها :

١- ما رواه مسلم عن جابر عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ؛ يجيئ أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً، ثم يجيئ أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ، ويقول : نِعْمَ أنت ، فيلتزمه" (١٣٠) .

٢- ما رواه أبو داؤد ، والترمذي ، وحَسَّنه ، وابن ماجة ، وابن حبان في صحيحه عن ثوبان ﷺ عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة" (١٣١) .

٣- ما رواه أبو داؤد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "أبغض الحلال إلى الله الطلاق" (١٣٢) .

٤- ما رواه النسائي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي الكريم ﷺ ، قال : "المنتزعات والمختلفات هن المنافقات" (١٣٣) .

٥- ما رواه الدار قطني عن معاذ ﷺ ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : "يا معاذ ! ما خلق الله شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله شيئاً على

وجه الأرض أبغض إليه من الطلاق" (١٣٤) .

ولا يصعب بعد النظر في هذه الأحاديث إدراك ما يترتب على الفرقة بين الزوجين من مفاسد دينية ، وهذا يقتضي ترجيح جانب عدم الفرقة إذا تعارضت وتساوت أدلة الجانبين ، إذا كان الزوجان يقيمان حدود الله .

ثم إنه تتجاوز هذه المفاسد الدينية عن الزوجين إلى الأولاد ، خاصة في هذا العصر المليئ بمظاهر المادية الغربية المزخرفة والخلاعة والمجون والخروج على القيم الدينية ، هذه الظروف زادت من أهمية الأسرة وتماسكها ؛ فالأسرة المترابطة المتماسكة هي الضمان الوحيد لتربية الأولاد تربية صحيحة ، بل أصبحت التربية الصحيحة للأولاد مطلباً صعباً حتى مع ترابط الأسرة ، فتفككها مما يزيد الطين بَلّة .

فلا ينبغي إيقاع الزوجين وأولادهما في مثل هذه المفاسد الدينية والدنيوية لمجرد الاحتياط .

هذا ! وإن كانت مثل هذه المفاسد قد تترتب على بعض صور الرضاع مثل إرضاع زوجته الكبرى الصغرى ، لكن قد ثبت كون الرضاع من أسباب الحرمة بنصوص قطعية يضعف أمامها الاستدلال بمثل هذه القواعد ، لا يقاس عليه ما تعارضت فيه الأدلة واقتضت قوة الدليل نفسها ترجيح عدم التحريم بغض النظر عن ترتب هذه المفاسد ، خاصة المسألة التي ليس فيها أثر صريح عن صحابي فضلاً عن حديث صحيح صريح : (مسألة اللمس والتقبيل) .

٣- إن حرمة المصاهرة بالزنا ومقدماته قد تثبت بفعل غير الزوجين ، وهذا يفتح باباً للتحيل عليهما للتفريق بينهما ، فيستطيع الأب أن يمس ارملة ابنه أو يقبلها أو يدعى ذلك إذا أمر ابنه بطلاقها فلم يطعه في ذلك ، ويمكن أن تأمر المرأة ابنها من هذا الزوج بتقبيل ضرتها أو زناها - والعياذ بالله - كي تحرم على زوجها .

٤- عموم البلوي يوجب التخفيف في الحكم ، و هذه المسألة مما قد عمت به

البلوي في ديارنا ، خاصة المس بشهوة خاطئاً في الأسر الفقيرة التي تسكن في بيوت ضيقة ، ويضطر إلى أن يبيت كثير من أعضائها وضيوفها في غرفة واحدة ، وعموم الابتلاء بها يظهر من الاستفتاءات الواردة في دور الإفتاء ، وفي صورة العمد لو كان المتضرر بالحرمة ، هو مرتكب هذا الفعل الشنيع فقط لكان مقتضى عموم البلوي به التشديد في الحكم روعاً للناس عن ارتكابه ، لكن في مسألتنا قد يصلى بنار هذه الجريمة غير جانيها .

أما ترجيح المحرم على المبيح فليست هذه القاعدة مطلقة ، وإلا لم يكن هناك اختلاف بين الفقهاء في التحليل والتحريم ، بينما ما من فقيه مجتهد إلا وقد اختار الحل في بعض المسائل مع وجود دليل الحرمة لأسباب رجّحت عنده دليلَ الجواز ، فهذه القاعدة : إنما هي عند تساوي الأدلة ، أما إذا ظهر قوة دليل الجواز أو اقتضت القواعد الأخرى الإباحة فلا بأس بالإفتاء والقول بها .

ثم إنهم عللوا هذه القاعدة بأمرين : الأول تقليل النسخ ، و الثاني الاحتياط ، وهذا الثاني يشير إليه أقوال بعض الصحابة ، منها ما روي عن عثمان ﷺ في الجمع بين الأختين بملك يمين : "أحلتهما آية وحرمتهما آية ، أما أنا فلا أحب أن أضع هذا" (١٣٥) ، ومثله عن علي ﷺ إلا أنه قال : "وأنا أنهى نفسي و ولدي" (١٣٦) ، وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال : "ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام" (١٣٧) ، وعبارات فقهائنا تدل على أنهم رجحوا جانب الحرمة في مسألة المصاهرة هذه للاحتياط ، فيمكن أن يترك هذا الاحتياط إذا ترتب عليه الحرج أو أدى إلى مفاسد كثيرة .

❁ هل هناك فرق في حكم المسألة قبل التزويج وبعده :

لم أجد من الفقهاء من فرق بين حكم الزنا ومقدماته قبل التزويج وحكمها بعده إلا ما حكاه الجصاص عن عثمان البتي من ثبوت الحرمة بهذه الأمور قبل التزويج لا بعده ، و علق عليه الجصاص أن هذا القول لا معنى له (١٣٨) لكن لعله يستدل له بما استدل به الجصاص على عدم إيجاب اللواطة الحرمة قائلاً : "إن هذه الحرمة إنما هي متعلقة بمن يصح عقد النكاح

عليها ، ويجوز أن تملك به فيكون الوطء المحرم فيها بمنزلة الوطء الحلال في إيجاب التحريم .. إلخ" (١٣٩) .

فالذي ذهب من الفقهاء إلى التحريم بالزنا ومقدماته ذهب إليه إجراء له مجرى النكاح والوطء به ، كما يظهر ذلك من أدلتهم ، فما لم يكن محلاً للنكاح كأم امرأته أو حليلة ابنه لا يكون الوطء بها قائماً مقام النكاح فلا تثبت الحرمة .

وبالرغم من أن ما ذهب إليه عثمان البتي قول شاذ لم يذهب إليه أحد من الفقهاء غيره - فيما نعلم ، لكنه ينبغي التفريق بين حكم المسألة قبل التزويج وحكمها بعده لسبب آخر ، وهو أنا رأينا أن أدلة عدم التحريم أقوى ، خاصة في مسألة اللمس ونحوه وتأديتها إلى الحرج ومفاسد أخرى ، وعموم البلوي في هذا العصر تؤيد هذه الأدلة ، خاصة في أوضاع شبه القارة التي الفرقة فيها أشق على المرأة من الموت ، فالأصل أن نأخذ بعدم التحريم ، لكن بما أن هذه المشاكل والمفاسد لا تترتب إلا إذا كان الزنا واللمس نحوه بعد التزويج ، أما قبله فلا ضرر ولا حرج في ترك النكاح بها ، فالقول بالتحريم أولى لأنه أحوط ، لأن مسألة الفروج مما يحتاط فيها ، أما بعد التزويج فلنأخذ بعدم التحريم لأنه أنفى للحرج وأدرأ للمفاسد وأقوى دليلاً وأوفق بالكتاب ، قوله تعالى : ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ .

بعد هذا الاستعراض لجميع صور المسألة ومذاهب العلماء فيها وأدلة كل ما ذهب إليه ذاهب يمكن التوصل إلى النتائج الآتية :

١- مسألة ثبوت حرمة المصاهرة مختلف فيها منذ عصر الصحابة ، واختارت الحنفية والحنابلة ثبوت الحرمة ، واختارت المالكية والشافعية القول بعدم ثبوت الحرمة ، وتعلق كل فريق بدلائل عن الكتاب والسنة والقياس ، ويبدو أن أدلة القائلين بها أقوى ، والقاعدة التي جعلها الشافعية أصلاً ثبوت المصاهرة ، وهي كون المرأة فراشاً قاعدة محكمة ، وأوفق بمقاصد الشريعة ، وأقرب إلى ما تثبت به الحنفية من إفضاء الوطء إلى الولد ، لكن بما أن مسألة

الفروج مما يحتاط فيها ، موقف الحنفية والحنابلة مبني على دلائل أيضاً ، فالأخذ به أولى فيما لم يؤد ذلك إلى مفاسد ومشاق .

٢- ذهبت المالكية والشافعية والحنابلة في أصح الروايتين إلى عدم ثبوت المصاهرة بالمس ونحوه في المحل الحرام المحض ، وأثبت الحنفية الحرمة بذلك إذا كان عن شهوة ، ودليل الحرمة في هذه المسألة أضعف منه في المسألة السابقة ، فالقول بالحرمة فيها مجرد احتياط ، وقد اشتبهت هذه المسألة على بعض العلماء بمسألة ملك اليمين ، فاستدلوا بآثار الصحابة الواردة في الاستمتاع بملك يمين ومن هنا ذكرنا مسألة ملك اليمين أيضاً ، ولا يصح قياس إحداهما على الأخرى ، فإن ملك اليمين تصير به الأمة فراشاً .

٣- إن ظروف وتقاليد شبه القارة مختلفة عن أوضاع غيرها من البلاد ، فالفرقة بين الزوجين تعود على المرأة بمتاعب لعلها لم تكن متصورة في عصر الفقهاء القدامى في بلادهم ، فبينونة المرأة عن زوج ونكاحها بزوج آخر ليس أمراً عادياً .

٤- لا بأس بالأخذ بالأحوط في المس ونحوه أيضاً قبل التزويج بل ينبغي الإفتاء به ، ولا ضرر في هذه الصورة للخروج عن المذهب على قواعد الحنفية ، أما ما بعد التزويج فالإفتاء بعدم التحريم أولى لما يترتب على الفرقة من مفاسد كثيرة ، خاصة إذا لم يكن المس ونحوه عن عمد أو كان ذلك عن غير الزوج مثل الأب والابن . - والله تعالى أعلم - .

☆☆☆

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

☆☆☆

الهوامش :

(١١٢) الدر المختار مع رد المحتار .

(١١٣) الدر المختار مع رد المحتار .

(١١٤) الدر المختار مع رد المحتار : ٣٥/٣ .

(١١٥) سورة النساء .

(١١٦) الطبري - ابن جرير ، جامع البيان في تفسير القرآن : ٤/٤١ ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١١٧) المرجع السابق : ٤/٦٥ .

(١١٨) ابن قدامة - المغنى : ٦/ .

(١١٩) المدونة : ٢/٢٠١ .

(١٢٠) نفس المرجع ونفس الصفحة .

(١٢١) أحكام القرآن -للجصاص : ٢/١٢١ .

(١٢٢) صحيح البخاري مع فتح الباري : ٩/١٥٤ .

(١٢٣) اعلاء السنن : ١١/٣١ .

(١٢٤) راجع : المغنى -لابن قدامة : ٦/٥٨٠ .

(١٢٥) صحيح البخاري مع فتح الباري : ٩/١٥٨ .

(١٢٦-١٢٧) بدائع الصنائع : ٢/٢٦١ .

(١٢٨) اللكنوي - محمد عبد الحي : تعليقه على الهداية : ٤/ ، طبع ملتان .

(١٢٩) ابن نجيم - الأشباهُ والنظائر : ص/١٢١ ، دار الفكر دمشق ، ط/١ ، ١٩٨٣م .

(١٣٠-١٣١) المنذري - الترغيب والترهيب : ٤/١٥٣ ، مطبعة السعادةالقاهرة ، ط/١ ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

(١٣٢) المرجع السابق : ٤/١٥٤ .

(١٣٣-١٣٤) مشكاة المصابيح : ص/٢٨٤ ، باب الخلع والطلاق .

(١٣٥-١٣٦) السنن الكبرى -للبيهقي : ٧/١٦٤ .

(١٣٧) نفس المرجع : ٧/١٦٩ .

(١٣٨-١٣٩) أحكام القرآن : ٢/١٢٠ .

(١٤٠) المعروف أن عموم البلوى يوجب التخفيف في أحكام النجاسات فقط ، لكن مثّل ابن نجيم في "الأشباه" لهذه القاعدة بمسائل من العبادات أيضاً ، مما يدل على أنها لا تختص بالطهارات والنجاسات ، والقاعدة بحاجة إلى المزيد من التنقيح والتطوير .

☆☆☆

الرَّوح و الرُّوح
في القرآن الكريم

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
الخبير الدولي للتربية والعلوم والثقافة بمنظمة الإيسيكو .

يخلط كثير من المتحدثين بين ضبط كلمة : "الرَّوح" و "الرُّوح" ، ولكل منهما معنى خاص ، واستعمالات متباينة في القرآن الكريم :

فكلمة : "الروح" ، وردت في مواطن متعددة من آيات بينات ، هي :

☆ ١- قول الله تعالى : ﴿ ولا تَيْئَسُوا من رَّوح اللّه * إنه لا يَيْئسُ من روح اللّه إلا القوم الكافرون ﴾ .

[سورة يوسف ، الآية/٨٧]

والمعنى : ولا تقطعوا من رجاءكم من رحمة الله ؛ إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته ، الكافرون به .

☆ ٢- و قوله عزّوجل : ﴿ فأما إن كان من المقربين * فرَوح و رَيحان * و جنة نعيم ﴾ .

[سورة الواقعة ، الآيتان/٨٨-٨٩]

والمعنى : فأما إن كان الميت من السابقين المقربين ، فله عند موته الرحمة الواسعة ، والفرح ، وما تطيب به نفسه ، وله جنة النعيم في الآخرة .

أما كلمة : "الرُّوح" فقد وردت في القرآن الكريم في الآيات التالية المباركات :

☆ ١- قال الله تعالى : ﴿ و آتينا عيسى ابن مريم البينات * و أيّدناه برُوح القُدُس ﴾..

[سورة البقرة ، الآية/٨٧]

والمعنى : وأعطينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات ، وقوّيناه بجبريل عليه السلام .

☆ ٢- و قوله تعالى : ﴿ و آتينا عيسى ابن مريم البينات * و أيّدناه برُوح القُدُس ﴾ .

[سورة البقرة ، الآية/٢٥٣]

والمعنى : وآتى الله عيسى ابن مريم عليه السلام البينات المعجزات الباهرات ، كإبراء مَن ولد أعمى بإذن الله ، ومن به برص بإذن الله ، وكإحيائه الموتى بإذن الله ، وأيّده بجبريل عليه السلام .

☆ ٣- وقوله جلّ شأنه : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته * ألقاها إلى مريم و رُوح منه ﴾ .

[سورة النساء ، الآية/١٧١]

والمعنى : إنما المسيح عيسى بن مريم رسول اللّه أرسل اللّه بالحق ، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم ، وهي قوله : "كن" ، فكان ، وهي نفخة من اللّه تعالى نفخها جبريل بأمر ربه .

☆ ٤- وقوله عزّوجل : ﴿ إذ قال اللّه : يا عيسى ابن مريم ! اذكر نعمتي عليك وعلى ولدتك * إذ أيّدتك بروح القدس ﴾ . [سورة المائدة ، الآية/١١٠]

والمعنى : إذ قال اللّه يوم القيامة : يا عيسى بن مريم ! اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أبٍ ، و على والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين ، و برأتها مما نسب إليها ، و من هذه النعم على عيسى أنه قوّاه و أعانه بجبريل عليه السلام .

☆ ٥- و قوله تعالى : ﴿ ينزّل الملائكة بالرُّوح من أمره على مَن يشاءُ من عباده ﴾ . [سورة النحل ، الآية/٢]

والمعنى : ينزّل اللّه الملائكة بالوحي من أمره على من يشاء من عباده المرسلين ...

☆ ٦- وقوله جلّ شأنه : ﴿ قل : نزّله رُوح القدس من ربك بالحق ﴾ . [سورة النحل ، الآية/١٠٢]

والمعنى : قُل لهم : - يا محمد ! - ليس القرآن مختلقاً من عندي ، بل نزّله جبريل من ربك بالصدق والعدل .

☆ ٧- وقوله عزّوجل : ﴿ ويسئلونك عن الرُّوح * قُل الرُّوح من أمر ربي * وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ . [سورة الإسراء ، الآية/٨٥]

والمعنى : ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتا ، فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر اللّه بعلمها ، وما أعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئا قليلا .

☆ ٨- و قوله تعالى : ﴿ نزل به الرُّوح الأمين * على قلبك لتكون من المُنذرين ﴾ . [سورة الشعراء ، الآيتان/١٩٣-١٩٤]

والمعنى : نزل بالقرآن الكريم جبريل الأمين ، فتلاه عليك - يا محمد - حتى وعيته بقلبك حفظاً وفهماً ، لتكون من رسل اللّه الذين يخوّفون قومهم عقاب اللّه ، فتنذر بهذا التنزيل الإنس والجن أجمعين .

☆ ٩- وقوله جلّ شأنه : ﴿ يُلقي الرُّوح من أمره * على مَن يشاء من عباده * لِيُنذر يوم التلاق ﴾ . [سورة غافر ، الآية/١٥]

والمعنى : ومن رحمة اللّه بعباده أن يرسل إليهم رسلاً يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به ، فيكونون على بصيرة من أمرهم ، لتخوّف الرسل عباد الله ، وتنذرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون .

☆ ١٠- وقوله تعالى : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان * وأيّدهم بروح منه ﴾ . [سورة المجادلة ، الآية/٢٢]

والمعنى : أولئك الموالون في اللّه ، والمعادون فيه كتب في قلوبهم الإيمان ، وقوّاهم بنصر منه ، وتأييد على عدوهم في الدنيا .

☆ ١١- وقوله عزّوجل : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره * خمسين ألف سنة ﴾ . [سورة المعارج ، الآية/٤]

والمعنى : تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سنيّ الدنيا .

☆ ١٢- وقوله جلّ شأنه : ﴿ يوم يقوم الرُّوح والملائكة صفاً ﴾ . [سورة النبأ ، الآية/٣٨]

والمعنى : يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين .

☆ ١٣- وقوله تعالى : ﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ . [سورة القدر ، الآية/٤]

والمعنى : يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام في ليلة القدر ، بإذن ربهم من كل أمر قضاه في تلك السنة .

مما سبق يتضح لنا : أن هناك فرقاً بين : "الرَّوح" و "الرُّوح" ، وأن استعمالات "الرَّوح" في القرآن الكريم : تعني :

☆ أولاً : الرحمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تَيْئَسُوا من رَّوح اللّه ﴾ .

☆ ثانياً : الرائحة الطيبة ، كما في قوله عزّوجل : ﴿ فرَوحٌ ورَيحان ﴾ .

أما استعمالات كلمة : "الرُّوح" في القرآن الكريم ، فتعني :

☆ أولاً : جبريل عليه السلام ، كما في قوله - جلّ شأنه - : ﴿ وأيّدناه بُروح القُدس ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ نزل به الرُّوح الأمين ﴾ .

☆ ثانياً : الوحي ، كما في قوله تعالى : ﴿ ينزّل الملائكة بالرُّوح من أمره ﴾ .

☆ ثالثاً : الرُّوح - سرّ اللّه في خلقه - ، كما في قوله - عزّوجل - : ﴿ و يسئلونك عن الرُّوح * قل : الرُّوح من أمر ربي ﴾ .

☆ رابعاً : المدد والعون ، كما في قوله - جلّ شأنه - : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان * وأيّدهم برُوح منه ﴾ .

واللّه أعلم بمراده

❁❁❁

و صلى اللّه تعالى على خير خلقه
محمد و على آله و صحبه وسلم

علوم القرآن الكريم

بقلم : فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني
ترجمة من الأردية إلى العربية ، بقلم : محمد أسجد البستوي

❁ أسماء القرآن : ولماذا سمّي بها ؟

ذكر العلامة أبو المعالي عزيزيّ بن عبد الملك الشيذلة (١) خمسة وخمسين (٢) اسماً للقرآن الكريم ، كما عدّ البعض تسعين اسماً أو أكثر منه ، ولكن الأمر الواقع هو أنهم جعلوا صفات القرآن ، و منها : "المجيد ، و الكريم ، والحكيم" ، أسماءً وعدوها من حيث الأسماء للقرآن الكريم ، مع أن القرآن تقتصر أسماؤه في خمسة ، وهي : "القرآن ، الفرقان ، الذكر ، الكتاب ، التنزيل" (٣) ، كما ذكرها القرآن الكريم خلال آياته كعلم معروف ومتداول ، وأشهر هذه الأسماء القرآن ، وذكر اللّه عزّوجل لكلامه المتلو اسم القرآن إحدى وستين مرة على أقل تقدير (٤) .

ولفظ "القرآن" مشتق من "قرأ ، يقرأ" ومعناه الجمع لغةً ، ثم أطلق هذا

---

(١) وهو من علماء القرن الخامس الهجري ، وكان شافعي المسلك ، وكثيراً ما أشار الزركشي والسيوطي إلى كتابه : "البرهان في مشكلات القرآن" ، وقد توفى سنة ٤٩٤هـ ، "وفيات الأعيان" -لابن خلكان : ج/١ ، ص/٣١٨ .

(٢) انظر : كتاب "الإتقان" -للسيوطي : ج/١ ، ص/٥١ .

(٣) الزرقاني : "مناهل العرفان" : ج/١ ، ص/٨ .

(٤) "فتح الرحمن لطالب آيات القرآن" -لعلي زاده الحسني : ص/٣٥٨-٣٥٩ .

اللفظ في معنى القراءة لما أنه جمع فيه الحروف والكلم (١) ، والقرآن أيضاً مصدر لفعل "قرأ ، يقرأ" ما عدا القراءة ، كما جاء في الكتاب الحكيم : ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ [القيامة/١٧] ، وقد يطلق المصدر بمعنى الاسم المفعول في اللغة العربية إذن سمّي كلام اللّه القرآن بهذا المعنى - يعني الكتاب المقروء - (وهناك أقوال كثيرة في اشتقاق هذه الكلمة ، ولكنها مبنية على التكلف ، كما ذكرت في "الإتقان" و "مناهل العرفان") .

ولهذا الاسم : "القرآن" وجوه عديدة بيّنها العلماء ، والأرجح منها أن هذا الاسم إنما أتى رداً على كفار العرب وإنكاراً لما كانوا يقولون : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن * والغَوا فيه ﴾ [حم السجدة/٢٦] ، فسماه اللّه بالقرآن على رغم أنوفهم ، وأشار إلى أن رسالة القرآن هذه رسالة لا يمكن محوها وتنحيتها بوسائل قمعية ومساعي دنيئة ، أنزله اللّه للقراءة فيتلى ويقرأ إلى يوم الدين ، وهذه حقيقة ناصعة لا مناص لإنكارها لأن القرآن أكثر قراءة وتلاوة في العالم بأسره من بين سائر الكتب الأخرى .

أما تعريف "القرآن" الاصطلاحي ، فهو "الكتاب المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة" (٢) ، وهذا التعريف متفق عليه بين جميع أهل العلم بدون أدنى خلاف .

☆ الوحي وحقيقته : أنزل اللّه القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ عن طريق الوحي فينبغي أن نقف على أمور بصدد هذا الموضوع .

☆ الحاجة إلى الوحي : يعلم كل من آمن وأسلم أن اللّه خلق الإنسان في هذا العالم للاختبار والامتحان ، وأوجب عليه تبعات ومسئوليات ، وسخر له كل ما في الكون ليكون خادماً له ، إذن يتحتّم على كل إنسان في هذا الكون أمران : أولاً : أن يستخدم هذا الكون الواسع الأرجاء والضّارب في أطنابه استخداماً

---

(١) "المفردات" -للراغب : ص/٤١١ .

(٢) انظر : كتاب "التلويح مع التوضيح" : ج/١ ، ص/٢٦ .

يتّصف بالاعتدال والاتّزان ، ثانياً : أن يجعل أحكام اللّه نصب عينيه مستفيداً مما في هذا الكون ، ولا يأتي بما يوجب غضب الربّ ومقته وينافي ما أحبه اللّه تعالى ، وللقيام بهاتين المسئوليتين يحتاج الإنسان إلى العلم ، فإنه ما دام لم يدرك ، ما هي حقيقة هذا الكون ؟ وما هي خواص الأشياء ؟ وما هي طرق الاستفادة والأخذ منها حسب حاجته ؟ لا يمكنه أن يستخدم شيئاً من هذا الكون ، و ما دام لم يعرف الأمور التي تسبّب رضا اللّه جلّ وعلا وسخطه لا يمكن له أن يستأهل ويحقق ما يوجب رضاه .

وحين خلق اللّه تبارك وتعالى الإنسان خلق معه ثلاثة أشياء ، وهي توصله إلى علم هذه الحقائق ، أولاً : الحواس ومنها البصر والسمع والأنف والفم واليد والرجل ، ثانياً : العقل ، ثالثاً : الوحي ، فالإنسان يدرك كثيراً من الأمور بالحواس ، ويدرك الأخرى بالعقل ، وما لا يتوصل إلى إدراكه بالحواس والعقل ، فالطريق لإدراكه هو الوحي الإلهي ، ثم جعل بين هذه الوسائل الثلاثة للعلم ترتيباً متّزناً خاصاً ، لكل منها إطاره ومجاله ، لا يمكن التجاوز عما فيه ، فما يعلم الإنسان من حواسّه الخمسة لا يستطيع أن يدركه بعقله فمثلاً رجل جالس بين أيدينا نعلم برؤية من البصر أنه رجل ، وكذا ندرك بأبصارنا بياض لونه وسعة جبينة وسواد شعره ودقة شفتيه وجمال وجهه ، ولكننا إذا أردنا هذا الإدراك بالعقل دون الحواس فنطبق أعيننا ، ثم نبغى إدراك لونه وصنع أعضاء جسده وصورة هندامه بعقلنا ، فهذا من الممتنع المحال ، وكذا ما يدرَك بالعقل لا يمكن إدراكه بالحواس ، فمثلاً نعلم من ذلك الرجل الجالس بأنه ولد لأحد ، وله أم ولدته ، وله خالق خلقه وأوجده ، وإن كان الذي خلقه غير موجود أمامنا ، وكذا لا نرى أمه أمام أعيننا ، ولكن العقل هو العامل الذي يخبرنا بأن وجوده لا يمكن بدون خلق الخالق وصنع الصانع ، فإذا أردنا هذا العلم بالحواس دون العقل فهذا خيال باطل لا أصل له ، لأن مشهد تخليته وإيجاده لا يمكن أن يتمثل أمامنا الآن .

وموجز القول أن الأمور التي يتعلق إدراكها بالحواس لا يمكن أن يهدى

إليها العقل ، فحيثما تعجز الحواسّ يبتدئ من هناك عمل العقل ، ولكن توجيهات العقل محدودة أيضاً ، فكثير من الأمور لا يدرك بالحواس والعقول ، فمثلاً يهدى العقل إلى أن خالق الإنسان موجود ، ولم يُخلق هو بدونه ، ولكن لا يهدى إلى غاية تخليق هذا الإنسان ، وإلى المسئوليات الملقاة على عاتقه من قِبَل ربه الرحيم والرحمن ، وإلى الأمور التي تُرضي الرب وتُسخطه ، فإنها لا تُدرَك بالحواس والعقول ألبتّة ، بل الطريق الوحيد إلى إدراكها الذي وضعه اللّه سبحانه ، هو الوحي .

فاتضح أن الوحي هو أشرف وأرفع وسيلة للعلم ، وهو الذي يجيب الإنسان عما تنشأ الأسئلة عن الحياة والكون في ذهنه بحيث لا يمكن الوصول إلى أجوبتها بالعقل والحواس ، ولكن لابد له من الوقوف عليها والعلم بها ، فقد بان بهذا التوضيح أن العقل والمشاهدة فحسب لا يكفي لهداية الإنسان فلا تتم هدايته إلا بالوحي ، فإن الوحي حاجة أكيدة و أصيلة لهداية الإنسان وتقويمه ، ولمّا أن الوحي يبدأ مساره حيث ينتهي إطار العقل ومجاله فلا يلزم حينئذ أن يُثبت العقل كلَّ ما يدرَك بالوحي الإلهي ، فكما لا تُعرف الألوان والأشكال بالعقل بل السبب لمعرفتها الحواس فقط كذا السبب لإدراك كثير من المعتقدات الدينيّة هو الوحي الإلهي دون العقل ، وليس من المعقول والسّديد أن يُعتمد ويوثَق لإدراكها على العقل فحسب (١) .

☆ معنى الوحي : قال الراغب الأصفهاني : "أصل الوحي الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتعريض ، ويكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكتابة وغير ذلك" (٢) .

---

(١) لخصنا القول كثيراً حول حاجة الوحي ، فمن أراد التفصيل فليراجع بالعربية إلى "تمهيد أبي شكور السالمي" : من ص/٦٨ إلى ص/٧٢ ، وبالأردية إلى الكتاب "علوم القرآن"- للشيخ شمس الحق الأفغاني : من ص/٣ إلى ص/١٨ .

(٢) انظر إلى "تاج العروس" -للزبيدي : ج/١ ، ص/٣٨٤، وإلى "المفردات" -للراغب الأصفهاني.

وبهذا المعنى وردت قصة سيدنا زكريا ﷺ في القرآن الكريم : ﴿ فخرج على قومه من المحراب * فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرةً وعشيّاً ﴾ [مريم/١١] ، ومن المعلوم أن القصد بمثل هذه الإشارات هو إلقاء أمر من الأمور في روع المخاطب ، ولذا أُطلِقَت كلمة الوحي والإيحاء بمعنى إلقاء الشيئ في القلب ، وأريدَ هذا المعنى في عديد من الآيات القرآنية ، ومنها : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل * أن اتخذي من الجبال بيوتاً ﴾ [النحل/٦٨] ، حتى أُطلِقَ هذا اللفظ في القرآن للوساوس التي توحيها الشياطين في القلوب ، كما قال تعالى : ﴿ و كذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الجنّ والإنس يوحى بعضهم إلى بعض ﴾ [الأنعام/١١٢] ، وقال أيضاً: ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أولياءهم ليجادلوكم ﴾ [الأنعام/١٢١] ، وكذا أُطلق لفظ : "الإيحاء" على خطاب الله جلّ وعلا للملائكة ، كما جاء في القرآن : ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّى معكم ﴾ [الأنفال/١٢] ، وكذا ما يُلْهَم في قلوب غير الأنبياء يسمى بالإيحاء ، كما ورد في ذكر قصة أم موسى ﷺ : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ [القصص/٧] ، ولكن جميع هذه المعاني لغوية ، أما معنى الوحي في المصطلح الشرعي فهو : "كلام الله المنزل على نبيّ من أنبيائه" (١) .

ولا يغيبنّ عن بالنا أن قد تداول واشتهر لفظ "الوحي" في معناه الاصطلاحي بحيث لا يسوغ استعماله لأحد سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبذا صرح المحدث العلامة الإمام محمد أنور شاه الكشميري - رحمه الله - : أن الوحي والإيحاء كل منهما متباين عن الآخر ، فالإيحاء عامٌ يدخل في دليّه الإلهام في قلوب غير الأنبياء والإشارة لهم بشيئ سوى إنزال الوحي على الأنبياء فيطلق اللفظ على الأنبياء وغيرهم ، أما الوحي فهو الإلهام الموجّه إلى الأنبياء فقط ، ولذا استعمل القرآن كلمة : "الإيحاء" للأنبياء وغيرهم في حين أن كلمة الوحي : "ليست إلا للأنبياء دون غيرهم" (٢) .

---

(١) "عمدة القارئ لشرح صحيح البخاري" -للعلامة بدر الدين العيني - رحمه الله - : ١٨/١ .

(٢) "فيض الباري" (ملخّصاً) -للإمام الكشميري - رحمه الله - : ١٩/١ .

فقد ثبت أن الوحي وسيلة يبلغ بها الله جلّ وعلا كلامه إلى عبد من عباده الأصفياء والرسل ، ثم إلى جميع الناس بواسطة هؤلاء الرسل ، ولمّا أن الوحي هو الرابط التعليمي والوشيج المبارك بين الله وعباده ، ولا يشاهده غير الأنبياء ، فلا يمكن لنا الإدراك التام لحقيقته وكنهه ، أما الوقوف على أنواعه وكيفياته ، فقد زوّدنا الكتاب والسنة عنها معلومات مفيدة ، نذكر ههنا بعضاً منها .

☆ تعليمات الوحي ودراساته :

إن الوحي يعلم الإنسان ما لا يدرك بالحواس والعقول ، ومن الممكن أن تكون هذه الأخبار تتعلق بالأمور الدينية البحتة أو بالحاجات الدنيوية الأخرى ، أما وحي الأنبياء في عامة الأحوال فهو يتعلق بالأمور الدينية ، ولكن إذا اقتضت الحاجة فأرشد الوحي إلى ما يتعلق بالحاجات الدنيوية أيضاً ، كما ذكر القرآن في قصة سيدنا نوح ﷺ : اصنع الفلك بأعيننا و وحينا - فَعُلِمَ بأن صنع السفينة قد أُلْهِمَ تعليمه في قلبه عن طريق الوحي ، كما أُلهم سيدنا داؤد ﷺ صنع الدروع عن طريق الوحي ، و كذا علم الله سيدنا آدم ﷺ الأسماء و خواصها جمعاء عن طريق الوحي ، بل يثبت ببعض الروايات أن علم الطب إنما نزل أصلاً عن طريق الوحي (١) .

☆ أنواع الوحي : قال الإمام العلام أنور شاه الكشميري - رحمه الله - : واعلم أن الوحي على ثلاثة أنواع (٢) :

☆ أولاً : الوحي القلبي :

هو أن يلهم الله سبحانه في روع نبيه بعد أن سخره مباشرةً ، فلا توسط للملك في هذا النوع ولا دخل فيه لسمع النبي وحواسه ، ولكن يتثبت الوحي في

---

(١) "النبراس على شرح العقائد" -لعبد العزيز الفرهاري : ص/٤٢٧-٤٢٨ .

(٢) قد أخذنا هذه الأنواع من كتاب : "فيض الباري" -للكشميري : ج/١ ، من ص/١٤ إلى ص/١٨ ، ولكن سمينا هذه الأنواع وذكرناها بألفاظنا السهلة .

قلبه ، ويكون على علم وبصيرة بأنه جاء من عند ربه ، ويمكن أن يكون هذا الأمر في حال المنام أو في اليقظة كليهما ، ورؤيا الأنبياء وحي ، وبه أمر الله لنبيه إبراهيم ﷺ بذبح ابنه إسماعيل ﷺ في المنام .

☆ ثانياً : الكلام الإلهي :

هو أن يتكلم الله جلّ وعلا لرسوله بدون أيّ وسيط للملك ، ويكون فيه دخل لحواس الموحى إليه فيسمع فيه الصوت ، ويتميز هذا الصوت بحيث لا يشبه أصوات المخلوقين بكيفيات غريبة بدون مخارج وتقطيع ، ولا يمكن إدراكه بالعقل ، ولا يعرف كيفه وطربه ولذته إلا الأنبياء الذين يتشرفون بالسماع إياه .

فلما ثبت أن هذا النوع من الوحي يتميز بشرف المكالمة الإلهية مباشرة بدون الوسيط ، ولذا يُعدّ من أفضل أنواع الوحي وأعلاها مكانة ودرجة (١) ، كما جاء في القرآن الكريم في بيان فضائل سيدنا موسى ﷺ : ﴿ وكلّم الله موسى تكليماً ﴾ [النساء/١٦٣] .

☆ ثالثاً : الوحي الملكي :

وفي هذا النوع من الوحي يرسل الله سبحانه رسالته إلى نبيّ بملك ، ويقوم ذلك الملك بأداء رسالته ، وفي بعض الأحايين لا يُرى هذا الملك إلا أنه يسمع صوته فقط ، وقد يتمثل في صورة البشر ، ويبلغ الرسالة الإلهية إلى الأنبياء ، وقد يتمثل الملك في صورته الأصلية ، ولكنه قليل نادر ، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الأنواع الثلاثة للوحي في قوله : ﴿ وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً * أو من وراء حجاب * أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى/٥١] ، فلفظ : "وحياً" يشير إلى النوع الأول وهو الوحي القلبي ، ولفظ : "من وراء حجاب" يدل على الثاني ، وهو الكلام الإلهي ، ولفظ : "يرسل رسولاً" يخبر بالثالث ، وهو الوحي الملكي . [للحديث صلة]

---

(١) "مدارج السالكين" -لابن القيم : ج/١ ، ص/٣٧ .

على وفاة العلامة بن باز :

وبكى العلماء أمام تواضعه

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض

الموت حق ، لأن حكمة الله جلت قدرته اقتضت أن الحياة الدنيا ، دار فناء ، وإن كل من عليها هالك ، ولا بقاء إلا لله سبحانه ، كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ .

وإنما الحياة الأبدية ، في دار الخلود ، بعد البعث والنشور ، فإما شقاوة أبدية لأهل الكفر بالله ومعاندة شرعه ، الذي شرعه لعباده ، وإما سعادة سرمدية لأحباب الله ، المؤتمرين بأمره ، والمستجيبين لشرعه المنزل على رسله عليهم الصلاة والسلام .

ولو كان لأحد خلود ، لبقي رسول الله ﷺ أفضل الخلق ، وأكرم الأنبياء والمرسلين على الله ، ولما مات قبله الأنبياء والمرسلون ، ولكنها سنة الله في خلقه ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

لقد فقدت المملكة علماً من أعلامها ، يعتبر من بقية السلف الصالح بعلمه و ورعه ، وببذل نفسه لصالح دين الله ، دعوة ومساعدة ، وتفاعلا مع قضايا المسلمين في كل مكان .. واهتماماً بشئونهم ، لأن الدعوة إلى دين الله ، هي جلّ هاجسه ، وتصحيح العقيدة من البدع والشوائب التي لم يأذن بها الله ، وتتصادم مع الصحيح من فقه رسول الله ﷺ ، هي شغله الشاغل .

إنه العالم الجليل المحبوب في مشارق الأرض ومغاربها ، من جعل الله له القبول في قلوب أهل الإيمان ، سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (مفتي عام المملكة العربية السعودية ، ورئيس هيئة كبار العلماء بالمملكة ، وإدارة البحوث العلمية و الإفتاء ، و رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي) الذي انتقل

إلى رحمة الله تعالى .

ولا يسع كل مسلم إلا الرضا والاستسلام لأمر الله ، والقول كما جاء في كتاب الله الكريم : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ والحمد لله على ما قضى ودبّر ، والمصائب عندما تحل بالناس فإنما هي ابتلاء واختبار .

ولا شك أن وفاته (رحمه الله) جعلت في الحناجر غصة ، وفي القلوب ألما ، لكن تحمُّل ذلك بالصبر الذي أمر الله به ، والدعاء له بجنة الفردوس الأعلى ، من صفات المؤمنين ، وقد بشر الله الصابرين بالخير العميم ، فقال سبحانه : ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة * قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وأولئك هم المهتدون ﴾ نسأل الله أن يجعلنا جميعاً منهم .

فهو تغمده الله بواسع رحمته ، كان من ذوي العلم الذين يباهون بعلمهم ، ولم يكن صاحب منصب يستأثر بمنصبه لكن العلم يزهو بمثله ، والمنصب يسعد بأمثاله .. حيث كان في جميع أعماله ينظر ببصيرة العالم الورع ، فيراعي مصلحة الدين وتعاليمه قبل كل شئ .. ويهتم بالضعيف حيث يوصي به من حوله دائماً ، بقوله : "ارفقوا بالناس ، وساعدوهم في قضاء حوائجهم .. الله يرحم ضعفنا وضعفهم" .

كان يأمر بالسعي في مصالحهم وتتبع حوائجهم حتى تنتهي ، بتأكيد ، ويقول : والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .. ذلك أن فقدان الشيخ فقدان أمور كثيرة تعلمناها منه .. وآداب رفيعة أخذناها عنه تطبعاً وحسن توجيه ، فهو مع علمه ، الجم ، مدرسة بأخلاقه ، ومدرسة بحماسته للدعوة إلى دين الله ، ومدرسة بحب الخير والمساعدة للقاصي والداني في كل شئونهم بدون تمييز .. ومدرسة بالتواضع ، النادر مثله في هذا الزمان ، يبين هذا عندما تأتي وفود من الخارج يريدون السلام عليه .. وبعد السلام والجلوس يسألني بعضهم : أين الشيخ ومتى يأتي حتى نسلم عليه ، ونشرح له قضايانا .. وأجيبهم بأنه هذا الجالس الذي سلمتم عليه ، ومجلسه المليئ فئات من البشر من آفاق الدنيا بدون تفريق .. هذا الشيخ الذي وهبه الله خصالاً هي سمو الإسلام ومثالياته .

و لقد بكى أمامي أكثر من شخصية إسلامية كبيرة بعد إخبارهم

بالوفاة ، ليقولوا : "تعودنا حتى من علماء بلادنا التعاظم والمواعيد المسبقة" .. إن هذا لا نظير له إلا فيما نقرأ في الكتب عن علماء السلف الصالح .

أما الكرم فناهيك بهذه الخصلة التي تتمثل في أكثر مما سمعنا عن كرماء العرب ، فبالسخاء والبذل والوجه البشوش سجايا تطبع بها ، منذ حداثته ، وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، فلما قدر سخره للضعفاء ولذوي الحاجات .. إذ راحته في كثرة الضيوف .. وتوافد أصحاب الحاجات .. وإدخال السرور عليهم .

قال الشاعر :

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شخص ... يموت بموته خلق كثير

لذلك فان الشيخ عبد العزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته ، قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام ١٣٥٧هـ في الدلم بالخرج ، وحتى مساء الليلة التي توفي فيها حيث لم يقعده المرض إلى الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم إجابة وإفتاء ومساعدة وتشفعا .

وقد عرف (رحمه الله) بذلك الخلق لم يتزحزح عنه ، ولم يتبدل ساعة من نهار ، مواعيد جلوسه ثابتة ، ومجلسه مفتوح في المكتب والبيت ، ومائدته ممدودة ، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولا نهاراً ، بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم ، وتبسيط الأمور أمامهم ، لأنه يطبق حديث رسول الله ﷺ : "يسروا ولا تعسروا" وسجاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة .. فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، عندما يختلفون في أمر وتكثر أمامهم الآراء ، يلجأون بالهاتف من أي منطقة لسماحة الشيخ عبد العزيز فيصدرون في رأيه ، ويرضون بما يوجبهم إليه .

والجاليات الإسلامية في أنحاء المعمورة - رغم أنه لم يغادر المملكة طول عمره - لا يحل قضاياهم أحد ، ولا يريح قلوبهم من أي أمر يريدون ، ولا يبذل الجاه لبناء مساجدهم ومراكزهم ، أو يمدهم بالكتب إلا الشيخ عبد العزيز بن باز .

ومع هذا فمن واقع معايشتي معه : فهو لا يصدر في أموره عن رأي شخصي ، ولا من عاطفة ذاتية ، ولكنه حمية الإسلام والتوثق من الدليل الشرعي : آية أو حديثاً .. ثم استخارة الله سبحانه بعد ركعتين يدعو الله

فيهما فإن ارتاح قلبه عمل بها بعد التوكل على الله .

ولذا فان الشيخ عبد العزيز أب رحيم وعطوف على اليتامى والمساكين ، و على الأرامل و الفقراء ، و على المحتاجين ، و من لا تصل كلمتهم إلى المسئولين ، فيوصلها بشفاعة ، ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق ، ويده تسخو .. ولعل الله سبحانه قد حقق له حديث رسول الله ﷺ الذي جاء فيه : "إن الله إذا أحب عبداً جعل حبه في قلوب الناس" .. وما أحصي كثرة الخصوم الذين يعتذرون إليه كتابياً وهاتفياً ومشافهة عن النيل منه سابقاً والتحدث فيه .. فيدعو لهم ويسامحهم ويعفو عنهم ، وعن من لم يعتذر .

وهذا من سماحة نفسه ، وطهارة قلبه ، الذي لا يعرف الغل ، ولا يريد إلا الخير ، وناهيك بالحديث في أمور الدنيا ، تلك الخصلة التي لا تجدها في أي مجلس يجلس فيه : فأما سؤاله عن أحوال المسلمين عليه ، إن كانوا من الداخل ، وعن أولادهم وأسرهم ، أو استيضاح عن الدعوة إلى دين الله ، وطلاب العلم الشرعي ونشاط العمل في هذا السبيل إن كانوا من الخارج أو من ذوي العلاقة بالدعوة والعلم من الداخل .. وبعد ذلك يأمر أحد القراء بتلاوة ما تيسر من كتاب الله ، ليشرع في تفسير تلك الآيات واستظهار معانيها .. وهكذا في المناسبات وفي حفلات الأعراس .

بعد ذلك يجيب على أسئلة الحاضرين .. وإن بقي متسع في الوقت قبل انفضاض المجلس سأل عن أحوال المسلمين في كل مكان .

ولئن كانت المنابر تبكي البلغاء والخطباء ، كما يقولون : فإن الأقلام تعجز عن أيفاء الشيخ حقه ، أو التحدث بمآثره .. ولكن حقه علينا الدعاء .

ولا نقول في هذا المصاب الجلل إلا ما قال رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم : "إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" .. وكل مسلم عرف الشيخ ، يقول : إنا لفراقك يا أبا عبد الله لمحزونون .. أحسن الله عزاء ذريته وأهله وعوض الله المسلمين عنه من يخلفه ويترسم خطاه .

☆☆☆

﴿ كل شئ هالك إلا وجهه * له الحكم وإليه ترجعون ﴾

❁❁❁

و رحل المجاهد بشير طبول

بقلم سعادة الدكتور غريب جمعة

هذا علم من أعلام الرعيل الأول من الأطباء ، ولكنه داعية إسلامي يعمل من أجل دينه وأمته .. فمن هو هذا المجاهد الذي رحل عن دنيانا في بداية عام ١٩٩٩م ، إنه الدكتور زكي علي .. نزيل "سويسرا" منذ أكثر من ستين عاماً ، حيث بدأ جهاده وعمله من أجل الإسلام في ديار الغرب دون كلل ولا ملل (١).

☆ معالم من حياته في مصر : ولد الدكتور زكي علي ببلدة انشاص من أعمال مدينة الزقازيق حاضرة محافظة الشرقية بمصر ، في أواخر يناير ١٩٠٥م ، ونشأ نشأة إسلامية ، وتلقى دراسته الأولية والابتدائية والثانوية في الزقازيق والقاهرة ، ولما قامت الحركة الوطنية المصرية في مارس سنة ١٩١٩م وهو بالمدرسة الخديوية بالقاهرة انضم إلى الشباب العامل في صفوفها ، ونشرت له أول مقالة وطنية (في سبيل الاستقلال) بجريدة (النظام) وهو في سن الخامسة عشرة ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ ينشر مقالاته في الصحف ثم التحق بمدرسة الطب المصرية (بقصر العيني) ، ونال منها جائزة الطب في يناير سنة ١٩٢٧م ، وعُين بعد ذلك طبيب امتياز بقصر العيني ، وفي سنة ١٩٢٨م عمل طبيباً لشركة النفط الإنجليزية (شل) بمدينة الغردقة على البحر الأحمر ، وهناك ساءته حال الظلم والذل التي يعاني منها الأهالي والعمال المصريون من الشركة فعمل على رد حقوقهم مع توجيه الأهالي إلى التمسك بالدين حين كان يخالطهم في مسجد الغردقة ، ثم عاد إلى القاهرة واشتغل من جديد طبيباً بقصر العيني فافتتح عيادة طبية له بالقاهرة ولما اتسع نطاق عمله الطبي افتتح عيادة ثانية له في (بردين) وغيرها من نواحي محافظة الشرقية .

---

(١) استأثرت به رحمة الله تعالى في ١١/من ذي القعدة ١٤١٩هـ ، الموافق ٢٧/من شهر فبراير ١٩٩٩م ، في مدينة "جنيف" .

☆ بعثته إلى أوربا : رشحته الحكومة المصرية في نوفمبر سنة ١٩٣١م للسفر إلى فرنسا للتخصص في الطب ، وكانت هذه أول مرة يفارق فيها وطنه ، ولفتت نظره الحرية التي يتمتع بها العالم الغربي ودعاه ذلك إلى التفكير في وطنه الحبيب الذي كان واقعاً تحت الاحتلال البريطاني في ذلك الوقت ، وكان ذلك نقطة تحول في حياته ، ثم انتقل من "باريس" إلى فيينا بالنمسا وبعد عدة أشهر حدث خلاف بينه وبين الحكومة المصرية جعلها تنهي بعثته إنهاء تعسفياً ، وتقطع عنه المنحة ، وضحى الرجل بوظيفته كأستاذ في قصر العيني من أجل مواصلة أهدافه ، وبين عشية وضحاها وجد نفسه بلا دخل يقتات منه ، وأصبح يتجول شريداً في شوارع فيينا وأقرانه في بحبوحة من العيش ، ويصور ذلك بعبارته العذبة التي تفيض إيماناً فيقول : "وعلى الرغم من ذلك فقد قررت أن احيا وسط حرماني قاصداً تحقيق آمالي مدركاً لكل ما سوف يواجهني من آلام الجوع والعري والعذاب ، وكثيراً ما كان يتحول جوعي إلى صيام تمنيت أن تفوز روحي من خلاله بالتقوى وقوة التحمل بينما يفقد جسدي من قوته وعافيته" .

ثم ينتقل من فيينا إلى جنيف ليحيا بها حياة متواضعة وهي المدينة المزدهرة الثرية ، وظل بها حتى استأثرت به رحمة الله ، لقد كان طريق الرجل مليئاً بالصعاب والمخاطر ، ولكنه يحس في كل تجربة يخوضها سواء أكانت نفسية أم جسدية أم مادية ، أنه ضئيل أمام القدرة الإلهية العظيمة التي تشمله وتحوطه بعين الرعاية ..

☆ نشاطه في أوربا : انطلق الرجل كفارس فكت قيود فرسه وقد هالته حال الجهالة بالأديان التي يعاني منها أهل هذه البلاد خصوصاً الإسلام والآراء المزيفة التي يرددها بعض الغربيين ، وشرع يجاهد في ميادين متعددة من أجل الدعوة الإسلامية ، فها هو ذا يتصل بالأوساط الإسلامية في باريس للتعرف على أحوال المسلمين في غرب أوربا ، وفي فيينا بدأ يدعو إلى الإسلام بعقد الاجتماعات الإسلامية ، وإلقاء الخطب والمحاضرات والإذاعة للتعريف بالإسلام ، ثم يتصل بكثير من المفكرين والمشتغلين بالشئون الإسلامية في الشرق والغرب ، وكان من بين من التقى بهم أثناء زيارته لبودابست سنة ١٩٣٣م المستشرق المجري الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ، وكان جرمانوس قد ألف كتاباً باللغة المجرية بعنوان : "الله أكبر" أعلن فيه إسلامه ، وقد تمت

ترجمة هذا الكتاب إلى الألمانية ثم طلب مؤلفه من الدكتور زكي أن يكتب صفحة الإهداء على الترجمة الألمانية فكتبها بخطه تحت عنوان : "من عبد الكريم جرمانوس إلى إخوانه المسلمين" .

ولما كان قد ضحى بوظيفته في قصر العيني فقد عكف على الجهاد الخالص لخدمة الإسلام فضرب في ميدان آخر فأسس رابطة الثقافة الإسلامية في فيينا في أكتوبر سنة ١٩٣٢م ، ولنقرأ ما قالته بعض الصحف عن تلك الرابطة في ذلك الوقت :

قالت جريدة "فتى العرب" الدمشقية في عددها رقم/٣٥٩٥ (أيار ١٩٣٤م) : "وللجمعية مكتب وبهو للمحاضرات تلقى به محاضرة كل أسبوع ، ويجتمع فيه كثير من الخلق من مختلف الطبقات والشعوب ورغم ما يقاسيه الدكتور زكي مؤسس الرابطة من شظف العيش وخشونته في تلك الأصقاع ، إذ ليس له فيها من معين من البشر ولا يساعده أحد من الخارج فإنه لا يزال مثابراً على جده ونشاطه ولا أغالي إذا قلت : إنني لم أجد رجلاً يتحمل ما يتحمل هذا الشاب في سبيل الخدمة العامة ، وقد دعاني (الكلام للمحرر) أثناء زيارتي لفيينا إلى اجتماع في نادي الجمعية ولا أزال أذكره ، حتى اليوم إذ يجمع بين العجمي والأفغاني والمصري والسوري والتركي والنمسوي وغيرهم ممن قد عرفوا الشئ الكثير عن الديانة الإسلامية ولا يزال يتابع ويواصل السعي للوصول إلى النتيجة الطيبة ، فلئن كان من واجب الإنسانية أن تسجل أسماء أبطال فيجب أن تسجل اسم الدكتور زكي علي في عداد أولئك الأبطال المغاوير فليس جهاده في تلك الأصقاع بأقل من الجهاد في الصحراء" أ. هـ .

وقالت مجلة : (الشبان المسلمون) القاهرية في عددها الصادر في فبراير ١٩٣٥م : "أقامت رابطة الثقافة الإسلامية بفيينا حفلة كبرى بمناسبة انقضاء عامين على تأسيسها ، ودعت جمهوراً كبيراً من العلماء والأدباء والمستشرقين والصحفيين ، وشباب الجامعة في العاصمة النمسوية ، وقد ألقى الدكتور زكي علي مؤسس الرابطة خطبة قيمة في هذه الحفلة بعنوان : "أوربا والإسلام" وقد كتبت المجلة ترجمة تلك الخطبة ولا يتسع المقام هنا لكتابتها .

ولم يقف نشاطه على هذه الرابطة بل اشترك في تأسيس غيرها من الجمعيات الإسلامية في وسط وغرب أوربا وأسهم في شتى الجهود الصادقة والأعمال التي غايتها نشر الدعوة الإسلامية وإنهاض العالم الإسلامي وتحرير دول الإسلام من الاستعمار الأوربي وتحقيق حريتها واستقلالها التام .

وكان على صلة بالأمير شكيب أرسلان الذي دعاه ليكون عضواً في اللجنة التي يرأسها الأمير لتنظيم أول مؤتمر إسلامي في أوربا عام ١٩٣٥م فلبي الدعوة وانتقل إلى جنيف في سويسرا في أواخر سنة ١٩٣٤م ، ولم يتوقف نشاطه في جنيف بل غا وتضاعف بعون الله فقد اتخذ من جنيف مرصداً يرصد منه أحوال العالم الإسلامي خاصة ، والعمل الخالص لوجه الله أساساً لجهاده ونشاطه باذلاً جهوده الدائبة بالقلم واللسان مع نشر العديد من المقالات عن الإسلام وأحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في الصحف والمجلات العربية والإسلامية في الشرق وفي بعض الصحف الأجنبية في الغرب وفي صحف العرب المهاجرين إلى أمريكا الشمالية والجنوبية ، وفي إصدارات ندوة العلماء حيث كان على صلة طيبة بسماحة شيخها الجليل العلامة السيد أبي الحسن الندوي شفاه الله وبأعضاء آخرين من هذه الندوة المباركة .

☆ ولاؤه لوطنه وجهاده من أجله : وفي غمرة ذلك النشاط و وسط معتركه لم ينس وطنه مصر ، وما يقاسيه من عسف وجور فكتب خطاباً مفتوحاً يفيض غيرة وإيماناً و وعياً و وطنية إلى الملك فؤاد ملك مصر في ذلك الوقت ، ومما جاء في ذلك الخطاب : "إن الشعب الذي رفع رأسه معتزاً بالحرية والكرامة القومية في بيت الأمة لن يستسلم للنزعات الأوتوقراطية في عابدين (قصر الحكم) ، وإن عرشاً لا تقوم دعائمه على محبة الشعب والنزول على إرادة الأمة واحترام مشيئتها لهو عرش فوق بركان ثائر لا يؤمن له انفجار ، قولوا للإنجليز يا صاحب الجلالة ! إنني لن أقف بمعزل عن أمتي ولأن تؤيدني قلوب أمتي خير من سند قوتكم وسلطتكم ، وعلى السياسة الإنجليزية وحدها وزن النكبات التي تشكو منها البلاد ، وعلى الاستعمار البريطاني وحده تبعة البلاء الذي حل بوادي النيل ، ثم خذوا بيد الفلاح يا صاحب الجلالة ! واستمعوا صرخته المكتومة مما يتقلب فيه من غمرات الفقر والبؤس وعذاب الأمراض والعلل ، فأغيثوه وارفعوا عنه الحيف وهيئوا له سبيل الحياة الطيبة والعيش الرغد فهو قوام حياة الوطن ، ثم ولوا وجهكم شطر الشرق ، وصافوا دول العربية والإسلام فذلك خير من مجاملة دول الغرب الأجنبية التي لا تتقرب منكم وتبذل لكم الود إلا على حسب ما تسول لها مطامعها ومصالحها ومنافعها !!! ، فهذا شأن الأجانب في بلادنا ، فخير لجلالتكم أن تعقدوا حبل الألفة وأواصر التحالف مع دول العربية والإسلام وتؤلفوا معهم عصبة قوية

ترفع نير الاستعمار وتنهض بالعربية والإسلام نهضة تحمل فيها مصر علم الزعامة" .

ولم يتوقف جهاده من أجل وطنه على الكتابة لحكامه فقط بل إنه تحدث إلى الدنيا كلها من خلال عصبة الأمم (الأمم المتحدة الآن) حيث طلب منها قبول مصر عضواً بها قبل الحرب العالمية الثانية ، وقد أشارت إلى ذلك جريدة "كوكب الشرق" في عددها الصادر في ٢٥/يناير سنة ١٩٣٦م تحت عنوان : "المسألة المصرية في عصبة الأمم" حيث قالت : قدم حضره الأستاذ الدكتور زكي علي مذكرة باللغة الفرنسية عن المسألة المصرية إلى مجلس عصبة الأمم المنعقد في جنيف يوم ٢٠/يناير الحاضر ، وقد نشرت الجريدة الترجمة العربية لهذه الخطبة .

☆ نشاطه في ميدان الطب : لم يمنعه اشتغاله بالدعوة الإسلامية من المضي في العمل الطبي فاشتغل طبيباً في بعض المستشفيات العامة والخاصة في جنيف وكطبيب بدل في بعض المدن السويسرية ، ولم يكتف بالعمل في هذا الميدان بل إن له بعض المؤلفات فيه مثل :

١- رسالة الطب العربي وتأثيره في مدينة أوربا (بالعربية) سنة ١٩٣١م ، وقد كتب عنه الأستاذ إبراهيم الفحام بمجلة الأزهر ، تحت عنوان : من ذخائر المكتبة الإسلامية .

٢- كتب خمسة عشر بحثاً نشرت في مجلات طبية في مصر وفرنسا وسويسرا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا ، واعتبر أحد هذه الأبحاث (بالفرنسية) وعنوانه : "الذهانات التالية لعمليات جراحية" معادلاً لرسالة دكتوراة في الطب من جامعة سويسرا ، وقد نشرته مجلة السجلات السويسرية للأمراض العصبية والنفسية عام ١٩٤١م .

☆ مؤلفاته عن العربية والإسلام : قد دعته جامعة جنيف سنة ١٩٤٣م لتدريس اللغة العربية والترجمة منها وإليها في مدرسة الترجمة الملحقة بالجامعة فقبل ذلك وقام بهذا العمل خدمة للغة القرآن الكريم على مدى تسعة عشر عاماً ، أما مجال التأليف فقد أخذ بحظ وافر فيه حيث صدرت له المؤلفات التالية :

١- كتاب : "الإسلام في العالم" بالإنجليزية (Islam in the World) ، وقد طبع للمرة الثانية في لاهور (الباكستان) سنة ١٩٤٧م ، ثم نشر في الستينات في نيويورك (أمريكا) بدون إذن المؤلف ، ولا يزال ينشر حتى الآن !!. وقد قال السيد محب

الدين الخطيب - رحمه الله - في مجلة "الفتح" الأسبوعية التي كان يصدرها سنة ١٩٣٨م عن المؤلف : إنه واحد من أعلم الناس بين الخمسة عشر مليوناً من مسلمي مصر بمسائل العالم الإسلامي .

ولهذا الكتاب قصة لا تخلو من عبرة ، وذلك أنه استقبل في الشرق والغرب استقبالاً حسناً بفضل الله فأدى ذلك إلى ظهور كتاب (بالألمانية) لمؤلف ألماني يدعى توما ريشارت بعنوان : "الإسلام على الأبواب" !! وكان ذلك في مدينة ليبزج بألمانيا سنة ١٩٣٩م ، وقد طلب ناشر الكتاب الألماني سالف الذكر من الدكتور زكي علي أن يسمح له بترجمة كتابه إلى الألمانية فأرسل إليه نسخة لهذا الغرض ولكن كان لابد من عرضها أولاً على الدكتور جوبلز وزير الدعاية والبروباجندا في عهد هتلر فرفض ذلك الوزير أن يترجم الكتاب لأن ما ذكر فيه عن نظام الإسلام ونهجه لا يتفق مع مبادئ النظام الهتلري ، فعاد الناشر يرجو المؤلف أن يكتب فصلاً عن ألمانيا والإسلام خلال العصور لنشره في ختام الكتاب ، واستجاب المؤلف لطلبه فبعث إليه الفصل المطلوب (بالألمانية) وعرض من جديد على وزير الدعاية الهتلرية ومع الأسف حذف منه جانباً كبيراً فيه بيان لسمو الإسلام فوق القوميات والعصبيات والعنصريات والسلاليات وفوق النظم البشرية والوضعية سواء أكانت لبرالية أم دكتاتورية .. إلخ ، ثم نشر الكتاب والفصل دون أخذ ولا رد مع المؤلف ، ولهذا لا يذكره من بين مؤلفاته (بالألمانية) بسبب ما حصل فيه من حذف ومسخ .. وهكذا طبيعة الدكتاتورية في كل زمان ومكان .

٢- "لمحات في الإسلام" (بالإنجليزية) (Glimpes of Islam) صدرت الطبعة الأولى منه في جنيف سنة ١٩٤٤م ، والثانية في لاهور سنة ١٩٥٤م .

٣- "أوربا والإسلام" (بالفرنسية) (Europe er LaIslam) نشر في جنيف سنة ١٩٥٤م وترجم إلى العربية في لبنان ، ونشرته دار الكشاف في بيروت سنة ١٩٤٩م بدون أذن المؤلف .

٤- "اللغة العربية في العالم" (بالفرنسية) نشرته مدرسة الترجمة بجامعة جنيف سنة ١٩٥٠م ، ثم ترجمته إلى العربية مجلة الأنوار في تطوان (المغرب) سنة ١٩٥٠م .

٥- "تأثير الثقافة الإسلامية في الغرب" (بالألمانية) -(Der Einfluss der Islamichen- Kultur auf das Abendland) ، و قد نشر في اولتن (Olten) بسويسرا سنة ١٩٦٠م .

٦- "هذه هي الشعوب البيضاء" (بالفرنسية) (Tels Sont Les Reuple Blances) طبع في لوزان (سويسرا) ، ونشر في عام ١٩٧٣م .

وقد قامت الدكتوراة نفيسة شاش الأستاذة بجامعة الاسكندرية بترجمة مقتطفات منه إلى اللغة العربية ، ويسرنا أن نضع بين يديك أخي القارئ باقة منها :

يقول مصوراً واقع الغرب من خلال معايشته له أكثر من نصف قرن - وكأنه ينبه المفتونين من شبابنا - : "إنه عالم يشعر فقط بحقيقته الحيوية والزمنية ، ولكنه لا يدرك المفهوم الحقيقي للحياة والمعاني السامية للروحيانيات والإلهيات ، فبينما يكبر هذا العالم ويزداد بل ويتضخم مادياً نجد أنه يتضاءل ويتلاشى نفسياً ومعنوياً ، وهذا بطبيعة الحال يشكل خطراً جسيماً على هذه المجتمعات ، إنه عالم ضلت فيه النفوس واهتزت فيه الآراء وضاعت وسط المشاعر ، وهانت فيه الروحانيات ، إنه عالم اجهدته الحضارة المادية والتكنولوجيا فأصابه الاعياء والتخمة من كثرة تناول العلم بينما هو جوعان وظمآن إلى الدين والإيمان" .

ثم يوجه رسالة ونداء من أعماق قلبه إلى الإنسانية كلها دونما تعصب لجنس أو لون فيقول : "أصبحت الآن لا أجد منزلي في مصر ولا في أوربا سأظل دائماً غريباً إذن ، أين وطني ؟ هل هو الشرق هل هو الغرب ؟ إن وطني الوحيد حيث يوجد المؤمنون لأنهم هم إخواني ، وكأنه يريد أن يقول : إن وطن المسلم حيث يرتفع صوت لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، أيها الرجال البيض ! أيتها السيدات البيض ! يا من تقرؤن سطوري أينما كنتم وأيا ما كان لونكم ، لا تذكروا اسمي وانزعوا صورتي الموجودة في مستهل هذا الكتاب واقتربوا بنفوسكم وأرواحكم مني ، اقتربوا ليمكن أن نلتقي جميعاً على أرض الإيمان بالله ؟ إن الله جلت قدرته هو الذي خلقنا وهو الذي خلقكم مع تعدد لغاتنا وألواننا ، وإنني أحبه فوق كل شئ ولا أخشى سواه ويقدر حبي له أخشاه أكثر وأكثر وبقدر خشيتي له فهو يحفظني أكثر وأكثر والمؤمن الحقيقي لا يمكن أن يتخيل الله سبحانه وتعالى لأنه لا مثيل له .. والسجود لعظمته يسمح بالإيمان الذي لا يمكن رؤيته والصمود الذي لا يمكن تحمله والمعرفة لما لا يمكن معرفته والتقبل لما لا يمكن تقبله .

ثم يختم الكتاب بقوله : "إني أتممت رسالتي بفضل الله و ليس لدى ما

أقوله بعد ذلك ، ولكن تأملوا كلمتي الأخيرة : إن الله وهب الطبيعة للإنسان والآن فإن من الطبيعة أن يهب الإنسان نفسه لله سبحانه وتعالى" أ. هـ .

☆ تكريم الغرباء : كان الرجل قد ألقى محاضرة بالفرنسية في ٢٢/فبراير سنة ١٩٣٢م في باريس عن تاريخ مدرسة الطب "قصر العيني" في مصر وعلى أثر نجاحها أعد بحثاً تاريخياً علمياً عن تاريخ الجراحة العربية في الأندلس (أسبانيا) وقدمه إلى رئيس جمعية تاريخ الطب الفرنسية ، فبلغ من استحسانه له أن ألقاه بنفسه نيابة عنه في أبريل ١٩٣٢م أمام جمعية تاريخ الطب الفرنسية بباريس ، واقترح انتخاب المؤلف عضواً بتلك الجمعية (وهي جمعية علمية لا نقابة) ، وتم ذلك بالإجماع ، وظل عضواً عاملاً بها منذ أبريل سنة ١٩٣٢م .

أما في سنة ١٩٨٣م فقد انتخبته الجمعية الطبية بجنيف عضواً مزاملاً فيها ، وهنا سؤال يفرض نفسه .

ما هو دور نقابة الأطباء والأطباء في مصر والعالم الإسلامي تجاه واحد من الرعيل الأول من الأطباء وعلم من أعلام المسلمين المجاهدين في ديار الغرب على مدى نصف قرن أو يزيد : وقد كان يحيا حياة شديدة التواضع ، وكانت أمنيته أن يقضي بقية عمره في مدينة رسول الله ﷺ ، ولكن قضاء الله قد سبق وله سبحانه ما أخذ وله ما أعطى ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونسأله سبحانه أن يرفع درجته في عليين وأن يدخله برحمته في عباده الصالحين ، وإن أهل الفن يكرم بعضهم بعضاً بل وتقام لبعضهم مهرجانات وربما لو وزناً أحدهم بميزان الإسلام ما بلغ وزنه قلامة ظفر ، وما أحسب الأطباء أو غيرهم يأهون على أنفسهم وعلى الناس من أهل الفن ، وبعد !

فأرجو أن تكون هذه الكلمة وهي جهد المقل كلمة وفاء متواضعة نحو واحد من أعلام الأطباء ، كما أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم نموذج من أطيب النماذج (ولا نزكي على الله أحداً) لمن يريد أن ينتظم في موكب الدعوة صابراً محتسباً مجاهداً بغير طبول، وحسبه ان الله يسمع ويرى .

☆☆☆

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الدكتور السيد عبد الحفيظ سلفي

في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ.)

في السابع من شهر يونيو ١٩٩٩م الموافق ٢٢/من شهر صفر الخير ١٤٢٠هـ ، استأثرت (رحمة الله تعالى) بالوجيه الفاضل الدكتور السيد عبد الحفيظ سلفي ، أحد قادة جمعية أهل الحديث لعموم الهند في ولاية "بيهار" (الهند) ، وذلك بعد ما عاش طريح الفراش إلى مدة طويلة مصاباً برعدة شديدة تشمل جميع أجزاء الجسم ، وبالتالي بنوع من الشلل ، وبالغاً من العمر ٨٣/عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم من كبار العاملين في حقل التعليم والتربية ، والدعوة إلى الله تعالى ، فقد كان يشرف على عديد من المؤسسات التعليمية ، ويعمل لها قدر المستطاع ، كما أنه ظل المشرف العام بوجه خاص ، على جامعة دار العلوم أحمدية سلفية بمدينة "دربنغا" (بيهار) ، والكلية المللية طوال حياته ، وهو بجانب مهنته الطبية التي كان يمارسها ، كان حافظاً للقرآن الكريم ، وعالماً وخطيباً ، يعيش حياة ورع وزهد ، وكانت له علاقة خاصة بعلماء صادقفور في بيهار ، الذين كانوا يمثلون عنصراً كبيراً في الحركة الجهادية التي قام بها الإمام الكبير أحمد بن عرفان الشهيد ، وسجل تاريخ الهند الإسلامي لهم مواقف صادمة صارمة لحياة الإيمان والجهاد والورع والعلم ، كما أن علاقته مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي كانت وطيدة ومخلصة ، وكان عضواً وجيهاً للمجلس التنفيذي لندوة العلماء ، فيحضر جلساته بغاية من الاهتمام ، ويسهم فيها بآرائه المفيدة .

وفاته خسارة كبيرة في أوساط العلماء والدعاة والقادة في هذه البلاد ، ولكن حياته كلها حافلة بالدروس والعبر في مجال العلم والعمل والدعوة

والتربية والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ، رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهل وذويه الصبر والسلوان .

فضيلة الشيخ أختر علي الندوي

في ذمة الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة الشيخ أختر علي الندوي في السابع من شهر يونيو ١٩٩٩م ، الموافق ٢٢/من شهر صفر المظفر ١٤٢٠هـ ، عن طريق بعض الجرائد اليومية الصادرة من لكناؤ ، دون أن يبلغنا خبر بما ألمّ به من مرض أو حادث ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم من أبناء ندوة العلماء القدامى ، وأحد الموظفين المسئولين عن مكتبة شبلي العامة لجامعة ندوة العلماء قبل عدة أعوام ، وقد أقام في وظيفته إلى مدة لا بأس بها ، ثم استقال ورجع إلى قريته "كرست" بمديرية "أناؤ" بولاية أترابراديش ، وذلك نظراً إلى حاجة الإشراف على الأراضي والمزارع التي كان يملكها ، مع اتصاله بالمسئولين عن ندوة العلماء وعلاقته القوية مع سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء العام) .

كانت وفاته مبعث حزن وأسف في أوساط ندوة العلماء وأبنائها ، وسوف لا تنسى ذكرياته إلى مدة .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته ومغفرته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وأصحابه الصبر الجميل ، فكل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون .

العلامة الاديب ، والكاتب الإسلامي الكبير الشهير الشيخ علي الطنطاوي

في ذمة الله تعالى

لقد كان نبأ وفاة العلامة الأديب ، والكاتب الإسلامي الكبير الشيخ علي الطنطاوي مفاجأة أليمة ، وصدمة عنيفة في أوساط ندوة العلماء ، فقد تلقى هذا

الخبر سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بشئ كثير من الأسف والألم ، وحزن على الحادث المفاجئ ، نظراً إلى العلاقات الودية ، والروابط العلمية والأدبية التي كانت تربطهما منذ أكثر من خمسين سنة ، يوم كان الشيخ الطنطاوي في الشام ، وكبير القضاة في محكمة التمييز والاستئناف فيها ، ولما انتقل المرحوم إلى السعودية ، اشتغل هناك بالفتيا والرد على الأسئلة بواسطة الإعلام والتلفزيون ، وتوجيه الكلمات الدينية ، والأحاديث الأدبية والاجتماعية إلى حضرات المستمعين والمشاهدين في العالم الإسلامي كله ، كان يتبادل الزيارة مع سماحته لدى حضوره إلى مكة المكرمة ، ويلتقى معه طوال أيام إقامته فيها .

إنه زار ندوة العلماء لأول مرة في عام ١٩٥٤م مع علامة العراق الكبير الشيخ أمجد الزهاوي في طريقهما إلى دول جنوب شرق آسيا ، وكممثلين لمؤتمر العالم الإسلامي في هاتيك الدول ، كانت إقامتهما في لكناؤ لعدة أيام أقيمت خلال ذلك حفلة ترحيب بهما في ندوة العلماء برئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، رحب بهما العلامة الندوي ترحيب أخ بأخيه ، وتحدث إليهما عن أهداف ندوة العلماء ، وما لها من تأثير في تغيير مجرى التاريخ العلمي والتربوي في هذه البلاد ، وأكد حاجة ندوة العلماء وأهدافها كضرورة علمية ودينية لا غنى عنها للمدارس والمؤسسات العلمية الإسلامية ، لا في الهند وحدها ، بل في العالم الإسلامي كله .

لقد أُعجب الضيفان بكلمة سماحته ، ورأيا إلى ندوة العلماء بعين ملؤها إعجاب وتقدير ، حتى إن كلمتي الانطباعات اللتين سجلوهما عن ندوة العلماء وزيارتها ، تعتبران من أروع الارتسامات وأصدق التعبيرات عن هذه المؤسسة الكبرى في هذه البلاد ، وقد جاء فيما كتبه العلامة الطنطاوي :

"عشتُ في الندوة أياماً ، ذقت متعة النظر ، بمنظر نهرها وبساتينها ، وراحة الأعصاب بهُدُوئها وسكونها ، ولذة التفكير ، بالرجوع إلى مكتبتها ، وعببتُ السعادة عبّاً بصحبة هؤلاء الأخوة الكرام ، المسلمين حقاً الطيبين

المخلصين ، الذين أحسستُ وأنا معهم كأني رجعتُ إلى التاريخ ، فعشتُ مع المسلمين في الصدر الأول : أساتذة الدار وطلابها .

وقلتُ : ها هنا المقيل ، فيا ليتني أحطّ ها هنا الرحال ، ويا ليتني أعيشُ هنا ، وماذا أبتغي فوق ما أجدُ فيها ؟ وهل بعد هذا المنظر الجميل ، وهذه المكتبة الحافلة ، وهؤلآء الصحب الأخيار ، متعة تبتغى أو نعمة تطلب ؟

إنهم يأخذون بالنافع من ثقافة الغرب ، مع الحفاظ على ثقافة الإسلام ، كالدار القائمة على السفح ، تترفّع عن وخامة السهل ، وتنزل عن وُعورة الجبل ، وخير الأمور الوسط" .

وبهذه الروح العلوية الشفافة كان الفقيد يتصل بندوة العلماء ورجالها وعلمائها ، وكان يحسن بهم الظن في جميع مناحي العلوم والمعرفة والأدب والدين ، وقد قدم بكلماته الجيدة الرائعة لعدد من كتب سماحة العلامة الندوي ، وكلما جاءه وفد من ندوة العلماء أو فرد ينتمي إليها كان يتناوله بالتقدير الخاص ويستقبله بوجه باسم وقلب مفتوح .

أما آثاره الأدبية ومؤلفاته القيمة ومجهوداته في سبيل العلم والأدب والدين ، فهي مآثر عظيمة لها مكانتها وعظمتها عند الله وعند الناس ، وهي كثيرة تملأ الخزانات ، وتجمّل المكتبات .

كانت الشيخوخة قد أقعدته في سنوات حياته الأخيرة ، فكان يعكف على عمله وكتبه في بيته بمكة المكرمة ، ولا يكاد يخرج إلى الناس ، تجاوز المأة عام من عمره ، وارتحل إلى الله تعالى راضياً مرضياً في التاسع عشر من شهر يونيو ١٩٩٩م ، المصادف ٤/من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ ، وصُلّي عليه في الحرم المكي الشريف بعد صلاة العصر ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وتغمده بواسع مغفرته ، ورزقه الجنة والنعيم ، وجعله ممن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

❁❁❁

إصدارات حديثة :

١- يا ساري الجبل

قلم التحرير (س.أ.)

هذا كتاب جديد : أصدره الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ أسرار عالم ضمن كتبه التي ألفها حول أوضاع العالم الإسلامي ، في ضوء الدراسات العلمية والحقائق التاريخية ، وبأسلوب وثائقي جميل .

تحدث في هذا الكتاب عن وضع الأمة الإسلامية بعد التغييرات السريعة الراهنة التي حدثت في العالم منذ شهر سبتمبر ١٩٩٧م ، التي أدهشت الإنسان المعاصر ، وقد تزايدت سرعة المستجدات والتغييرات الهائلة منذ بدء العام الحالي ١٩٩٩م ، فجاء هذا الكتاب كاقتراح علمي على ما تجتازه الأمة من المشكلات والأزمات نتيجة هذه المستجدات والتغييرات .

والكتاب باللغة الأردية ، ومدعم بالبراهين والوثائق والحقائق التاريخية ، التي تثير أمام العالم الإسلامي تساؤلات تتطلب عليها الرد السريع ، ويُرجى أن ينقل إلى اللغة العربية في وقت قريب ، فما أحوج إليه الأمة الإسلامية العربية التي هي مستهدفة من خلال المؤامرات والمخططات التي تدبرها اليهودية العالمية ضدها .

٢- عمدة البصر شرح نخبة الفكر

تلقينا هذا الكتاب كهدية غالية من الشارح الفاضل فضيلة الشيخ المفتي أبو سفيان المفتاحي أستاذ الحديث الشريف في جامعة مفتاح العلوم بمدينة "مئو" (بولاية أترابراديش) الهند ، فقد كان شيخ الإسلام الإمام المحدث الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ألف كتابه "نخبة الفكر في مصطلح الحديث" ، وكان متداولاً بالتدريس في المدارس والجامعات الإسلامية ، في كلية الحديث والسنة ، وقد أحسّ الشارح الفاضل بضرورة

شرح هذا الكتاب والتعليق عليه ، أثناء تدريسه لهذا الكتاب طلبة علم الحديث ، فتناوله بالشرح والتحقيق والتعليق ، وأجاد ما قام به من هذا العمل العلمي ، وهو على ذلك جدير بالثناء على حسن اختياره ، ومشكور من قبل طلبة الحديث وأساتذته في المدارس والجامعات الإسلامية في الهند بوجه خاص .

٣- الإذاعة ، لما كان وما يكون بين يدي الساعة

هذا الكتاب القيم من تأليف العالم الجليل والمؤلف الكبير السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري - رحمه الله - تحدث فيه عن مشكلة الساعة ، وحقيقتها وموعد وقوعها في ضوء أقوال الرسول ﷺ وأحاديثه .

وقد قام بمراجعة الكتاب وتحقيقه فضيلة الشيخ أبو الكلام أحمد ، رئيس المركز الإسلامي و إداراته ، و رئيس تحرير مجلة : "الرحيق" الشهرية ، في نيو دلهي (الهند) .

و قد أخرج الكتاب في حلة قشيبة ، وطباعة أنيقة ، الشيخ أبو الكلام أحمد ، ونشره المركز الإسلامي (م ١٠٨ - أبو الفضل انكليو ، جامعه ناغر ، دلهي الجديدة - ١١٠٠٢٥ - الهند) ومن هذا العنوان يُطلب الكتاب .

٤- الخطب الدينية الجديدة

هذه الخطب الدينية كتبها الأخ الفاضل الأستاذ محمد كاظم الندوي باللغة الأردية في عدة أجزاء ، فنالت قبولاً وانتشاراً في أوساط طلاب المدارس الإسلامية الذين يهتمون بإلقاء الخطب حول مواضيع دينية مختلفة خلال التدريبات الإلقائية في الحفلات الأسبوعية التي تعقدها جمعيات الطلاب في هاتيك المدارس الإسلامية .

وكانت هذه الأجزاء باللغة الأردية بعنوان : (كيف تكون خطيباً) ونقلها إلى العربية باسم "الخطب الدينية الجديدة" أحد طلاب الدراسات العليا في كلية الشريعة وأصول الدين ، ونرجو أن تجد هذه الرسالة العربية قبولاً كذلك في أوساط الطلاب ممن يتدربون على إلقاء خطب باللغة العربية ، وهو جهد مشكور ، وعمل طيب مقبول - بإذن الله تعالى - .

وتطلب هذه الرسالة بعنوان : مكتبة أيوب ، كاكوري ، لكناؤ الهند .